# الرِّيَاضُ البَوَاسِمُ

# بِسِيرَةِ أَبِي القَاسِمِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ

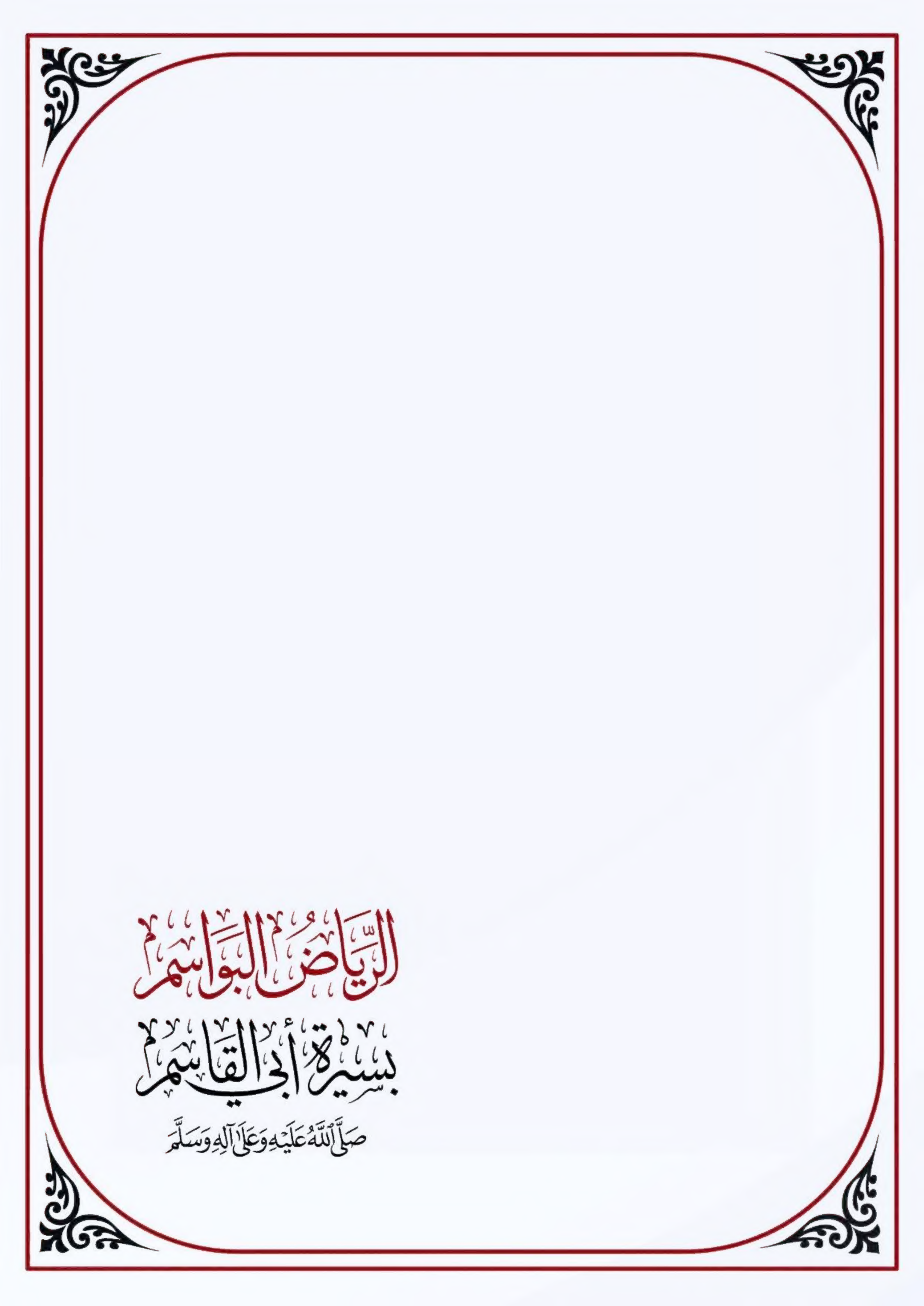
## مَجَالِسُ خِطَابِيَّة فِي السِّيرَةِ النبوِيَّة

المجْمُوعَةُ الأُولَى



تأليف

أَحْمَدُ بْنُ غَانِمٍ الأَسَدِيُّ


الرِّيَاضُ البَوَاسِمُ
بِسِيرَةِ أَبِي القَاسِمِ
صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ


بسم الله الرحمن الرحيم

# الرياض البواسم

# بسيرة أبي القاسم

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

## مجالس خطابية في السيرة النبوية

المجموعة الأولى

تأليف

أحمد بن غانم الأسدي

# تصدير

«وَلَمْ تُعْمَرْ مَجَالِسُ الخَيْرِ -بَعْدَ كِتَابِ اللهِ ﷻ- بِأَحْسَنَ مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

العلامة ابن فارس الرازي

# خطبة المؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الهادي مَنْ استهداه، الواقي مَنِ اتقاه، الكافي مَنْ تحرَّىٰ رضاه، حمدًا بالغًا أَمَدَ التمام ومنتهاه.

والصلاة والسلام الأكملان علىٰ نبينا والنبيين، وآل كُلٍّ، ما رجا راجٍ مغفرته ورُحْماه.

**أما بعد**: فأَصلُ هذه المجالس خُطبٌ مِنبرية، ومجالس مسجدية، نَثَرْتُ فيها جواهر مِنْ كنوزِ السيرة النبوية العطرة، ثم تتابع الطلب مِنْ جماعة مِنْ محبي هذا العلم الشريف أنْ أضمها في كتاب؛ ليعم نشرها، والاستفادة منها، فلبيت طلبهم – كثرهم الله- فأعدت صياغتها وترتيبها بما أرجو أنْ يناسب الخطب المنبرية والمجالس الوعظية.

ولم أُثقل الحواشي بالتخريجات للأحاديث والآثار، وأقوال أهل العلم؛ حرصًا علىٰ جمع ذهن القارئ علىٰ إنعام النظر وإرحاب الفكر في أزهار تلك الرياض وثمارها، ولم أذكر من الأخبار إلا ما هو مقبول، ونزهت تلك الرياض عن الأباطيل والمناكير جريًا علىٰ طريقة أهل العلم المحققين في جمع أخبار سيد المرسلين ﷺ، وقد ذكرت منهجهم في ذلك تنظيرًا بأقوالهم، وتقريرًا بأقلامهم في كتابي «المدخل إلىٰ علم السيرة النبوية علىٰ صاحبها الصلاة والسلام».

وأما الأقوال المأخوذة عن أهل العلم فوضعتها بين قوسي التنصيص وهي: «»؛ التماسًا لبركة العلم، وإخلاءً لعهدة النقل علىٰ الناقل.




أسأل الله تعالىٰ أنْ يتقبلها مني، وأنْ يجعلها في ميزان حسناتي وحسنات كل مَنْ قرأها أو سعىٰ في نشرها، وأنْ يجمعنا جميعًا به ﷺ في جنات النعيم، إنَّه بِكُلِّ جميل كفيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

كَتَبَه:

أبو الخطَّابِ أحمدُ بنُ غانِمِ بنِ حسنٍ الأَسَديُّ

لست بقين من شهر جمادىٰ الآخرة سنة ثلاث وأربعين وأربعِ مِئةٍ وألفٍ

مِن هِجرةِ الرسولِ الأعظمِ ﷺ

**البريد الشَّبَكِي : alghanm20@gmail.com**







## المجلس الأول: ميلاد رسول الله ﷺ وبعثته عرض وعبر

الحمد لله باعث الرسل، وناهج السبل، الذي هدانا للإسلام، وشرَّفنا بملة نبيه محمد ﷺ، تَخَيَّرَه مِنْ أكرم نَسبٍ، وجعله سيد العجم والعرب، ثم بعثه بآياته الطاهرة، وأيَّده بمعجزاته الباهرة، وأَمَرَه بجهاد مَنْ صد عن سبيله، ولم يجب داعي الله ورسوله، فجاهد في الله حق جهاده، حتىٰ ظهر دين الحق الذي ارتضاه لعباده، ثم توفاه وقد أكمل له الدين، وختم به النبيين، فصلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

**أما بعد:** فإنَّ ميلاد رسول الله ﷺ وبعثته أمران عظيمان جليلان، وهما مِنْ أيام الله الخالدة؛ ففيهما ولادة النور والرحمة والهدىٰ والرشاد.

فالحديث عنهما جزء مِنَ الحديث عن السيرة النبوية والأنباء المحمدية علىٰ صاحبها الصلاة والسلام.

والحديث عنهما علىٰ جهة التحقيق والاعتبار هو المفقود عند كثير مِنَ المسلمين، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العزيز الحكيم.

ولذلك رغبتُ أنْ أعتصر لُبَاب هذين الحَدَثين، وأقتطف أزهارهما؛ ليكون ذلك الاقتطاف والارتشاف مِمَّا يُشَنَّفُ بِها الأسماع.









## النسب الشريف

هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لؤَيٍّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ.

## الميلاد الشريف

ولد الرحمة المهداة ﷺ في بيت والده المجاور للبيت العتيق، وذلك في نَهار يوم الاثنين، الثاني عشر مِنْ شهر ربيعٍ الأول، عام قدوم الفيل الخائب الذليل.

وكان رسول الله ﷺ يصوم يوم الاثنين شكرًا لله تعالىٰ علىٰ نعمة ولادته ﷺ.

قال الإمام عبد الرحمن بن يحيىٰ المعلمي اليماني: «شرع الله تعالىٰ للمسلمين صيام يوم الاثنين؛ شكرًا علىٰ هاتين النِّعمتين العظيمتين: ولادة رسوله ﷺ، وإنزال القرآن عليه، ولكن المسلمين -ويا للأسف- نَسُوا صومَ يوم الاثنين وما في صومه مِنْ شكر الله ﷻ، وما يتضمَّن ذلك مِنْ محبَّته ﷺ؛ حتىٰ إنَّ أكثرهم يجهل ذلك، ولم أرَ طولَ عمري مَنْ يصومه بتلك النيَّة، ولا مَنْ يذكره».

وقد ولد رسول الله ﷺ يتيم الأب؛ لأنَّ أباه عبد الله بن عبد المطلب توفي ورسول الله ﷺ حَمْلٌ في بطن أمه آمنة بنت وهب.

## الرضاع الطاهر

رَضَع رسول الله ﷺ مِنْ أُمِّه آمنة بنت وهب أيامًا معدودة؛ وكانت قليلة اللَّبَن.

ثم رضع مِنْ ثُوَيْبَةَ، أيامًا معدودة.



ثم قَدِمَتْ حليمة السعدية مع نسوة مِنْ ديار بني سعد يَلْتَمِسْنَ الرضعاء بالأجرة، فكان نصيبها أطهر رضيع؛ الحبيب الشفيع ﷺ.

رجعت حليمة السعدية بخير البرية ﷺ مِنْ مكة المكرمة إلىٰ ديارها ديار بني سعد في جهات الطائف، وأقام رسول الله ﷺ عندها عامين كاملين، وقد هطلت عليها البركات في بدنِها ومالها وما حولها، وكيف لا تَهطل عليها البركات وهي تحتضن الرحمة المهداة والنعمة المسداة ﷺ.

قالت حليمة السعدية رضي الله عنها: «ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَنَا مِنْ بِلَادِ بَنِي سَعْدٍ، وَمَا أَعْلَمُ أَرْضًا مِنْ أَرْضِ اللهِ أجدبَ مِنْهَا، فَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ عليَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ مَعَنَا شِبَاعًا لُبَّنا، فَنَحْلُبُ وَنَشْرَبُ، وَمَا يَحْلُبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ، وَلَا يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ، حَتَّىٰ كَانَ الحَاضِرُونَ من قومنا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِمْ: وَيْلَكُمْ اسْرَحُوا حَيْثُ يسرحُ رَاعِي بِنْتِ أَبِي ذُؤيب، فَتَرُوحُ أغنامُهم جِيَاعًا مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ غَنَمِي شِباعًا لُبَّنًا، فَلَمْ نَزَلْ نَتَعَرَّفُ مِنَ اللهِ الزِّيَادَةَ وَالخَيْرَ حَتَّىٰ مَضَتْ سَنَتَاهُ وفَصلتُه؛ وَكَانَ يَشِبُّ شَبَابًا لَا يشبُّه الغِلْمَانُ، فَلَمْ يَبْلُغْ سَنَتَيْهِ حَتَّىٰ كان غُلَامًا جَفْرًا، فَقَدِمْنَا بِهِ عَلَىٰ أُمِّهِ وَنَحْنُ أحرصُ شَيْءٍ عَلَىٰ مُكْثِهِ فِينَا؛ لِمَا كُنَّا نَرَىٰ مِنْ بَرَكَتِهِ».

### شق الصدر الشريف

لما قَدِمَتْ حليمة السعدية برسول الله ﷺ إلىٰ أمه آمنة بنت وهب في مكة راودتَها أنْ تعود به إلىٰ ديارها في بني سعد، فرضيت بذلك أمه، فعاد ﷺ إلىٰ ديار بني سعد.



وبعد أَشْهُرٍ معدودة مِنْ عامه الرابع ﷺ «أَتَاهُ جِبْرِيلُ ﵇ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ القَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَىٰ أُمِّهِ حليمة فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ!

قَالَ أَنَسٌ ﵁: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَىٰ أَثَرَ ذَلِكَ المِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ ﷺ».

«وجميعُ ما ورد في شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك مِمَّا يجب التسليم له دَونَ تَعرضٍ لصرفه عن حقيقته؛ لكمال قدرة الله تعالىٰ فلا يستحيل شيء مِنْ ذلك، وما وقع مِنْ بعض جهلة العصر مِنْ إنكار ذلك وحمله علىٰ الأمر المعنوي وإلزام قائله القول بقلب الحقائق، فهو جهل صريح وخطأ قبيح نشأ مِنْ خِذلان الله تعالىٰ لهم، وعكوفهم علىٰ العلوم الفلسفية، وبعدهم عن علوم السنة المطهرة، عافانا الله تعالىٰ مِنْ ذلك».

## وفاة والدة رسول الله ﷺ

بعد حادثة شق صدره ﷺ خافت عليه حليمة السعدية وزوجها، فعزما علىٰ إعادته إلىٰ حضن أمه آمنة بنت وهب، فمكث في كنف عطفها وحنانِها حتىٰ دخل في السابعة مِنْ عمره ﷺ، فعزمت آمنة بنت وهب علىٰ الذهاب بولدها رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة لزيارة أخوال جده عبد المطلب بن هاشم، وهم بنو النجار من الخزرج.

ولعل الغرض مِنْ هذه الزيارة أنْ يرىٰ ﷺ مكانة هؤلاء الأخوال الكرام، وقد كان لهذه الخؤولة اعتبارها لمَّا هاجر فيما بعد إلىٰ المدينة.

وأغلب الظن أنْ تكون الأم حدّثت ابنها بقصة أبيه، ومفارقته الدنيا وهو في شَرْخِ شبابه، وأنَّ الابن تاقت نفسه إلىٰ البلد الذي ضم رفات أبيه الذي لم يكتحل برؤيته وشمه وضمه وقُبُلات العطف ورَشَفَاتِ الحنان!

وخرجت الأم والابن ومعهما أُمُّ أيمن بركة الحبشية جارية أبيه ﷺ، ووصل الركب إلىٰ المدينة، وكان المُقام في دار النابغة مِنْ بني النجار، ومكثوا عندهم شهرًا، وزاروا الحبيب الثاوي في قبره، وحرَّكت الزيارة لواعج الشوق والأحزان في نفس الأم والابن، وانطبع معنىٰ اليتم في نفس رسول الله ﷺ.

وبعد أنْ قضوا حاجات النفس عاد الركب إلىٰ مكة، وفي الطريق بين المدينة ومكة مرضت الأم مرض الموت، ودفنت بقرية الأبواء، وجلس الابن يذرف الدمع سخينًا علىٰ فراق أمه، التي كان يجد في كنفها الحب، والحنان، والسلوىٰ، والعزاء عن فقد الأب، وهكذا شاء الله تعالىٰ لرسوله ﷺ-ولَمَّا يجاوز السادسة- أنْ يَذُوقَ مرارة فَقْدِ الأبوين!

فعاش يتيم الأبوين، وحيد الأخوين؛ فلا أخٌ ولا أختٌ! صلىٰ الله وسلم عليه وزاده كرامة وشرفًا لديه.

وكان رسول الله ﷺ يذكر أمورًا في زيارته تلك؛ فقد نظر إلىٰ دار بني النجار بعد الهجرة فقال: «هَهُنَا نَزَلَتْ بِي أُمِّي، وَفِي هَذِهِ الدَّارِ قُبِرَ أَبِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَحْسَنْتُ العَوْمَ فِي بِئْرِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ».

والعَوْم: السباحة.

## في حضن جده الحنون

بعد فاجعة وفاة والدته ﷺ قدمت به أم أيمن رضي الله عنها فسلمته إلىٰ حضن جده العطوف الحنون عبد المطلب بن هاشم السيد الشريف المطاع، مُقدَّمِ قريش وملتقىٰ وفاق رأيهم، وصاحب السقاية والرفادة بالبيت العتيق.

فأصبح رسول الله ﷺ جليسه وأنيسه، يرعاه ويُعنىٰ بأمره، استعاض به رسول الله ﷺ بعض ما فقده مِنْ حنان أبويه ﷺ.

## في كفالة البطل المقدام

أمضىٰ رسول الله ﷺ تحت رعاية جده المترعة بالحنان عامين، ثم توفي عبد المطلب بعد ثمان مِنْ ميلاد سيد الإنس والجان ﷺ.

وبعد وفاة عبد المطلب أصبح رسول الله ﷺ في كفالة عمه أبي طالب، البطل المقدام والمناصر الضرغام، والمدافع الصمصام، الذي أحسن كفالته، ودفع عنه طغيان قريش، وعرَّض نفسه للشر دونه، قال في لاميته العصماء:

حَدِبْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ ودافعت عَنهُ بالذّرىٰ وَالكَلَاكِلِ

والذرىٰ: أَعلَىٰ الظَّهْر.

والكلاكل: عظام الصَّدْر.

ولَمَّا دخل العام الثالث عشر مِنْ ميلاده ﷺ، اصطحبه أبو طالب في رحلته التجارية إلىٰ الشام مع جماعة مِنْ قريش، فنزل الركب ببلدة (تيماء) وعلم بِهم بَحِيرَا الراهب، مِنْ عُبَّادِ ملة السيد المسيح عليه السلام.

فلما اقتربوا مِنْ صومعته «أَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ».

ثم قال الراهب: «أُنْشِدُكُمُ اللهَ يَا مَعْشَرَ العَرَبِ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ فَقَالَ: أَبُو طَالِبٍ: أنا!

فَقَالَ لِأَبِي طَالِبٍ: مَا هَذَا الغُلَامُ مِنْكَ؟ قَالَ: هُوَ ابْنُ أَخِي، قَالَ لَهُ: أَشَفِيقٌ أَنْتَ عَلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَوَاللهِ لَئِنْ قَدِمْتَ بِهِ إِلَىٰ الشَامِ لَا تَصِلُ بِهِ إِلَىٰ أَهْلِكَ أَبَدًا، لَيَقْتُلُنَّهُ، إِنَّ هَذَا عَدُوُّهُمْ، فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّىٰ رَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ وَبَعَثَ مَعَهُ رَجُلًا».

## شهود حلف الفضول

وكان عمره ﷺ حين عقد هذا الحلف في الخامسة عشر مِنْ عمره ﷺ.

وكان سبب هذا الحلف أنَّ يمانيًّا قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصي بن وائل، وكان ذا قَدْرٍ وشرف بمكة! فَحَبَسَ عنه حقه، فصاح اليماني في أندية قريش بأعلىٰ صوته:

يَا آلَ فِهْرٍ لِمَظْلُومٍ بِضَاعَتُهُ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ نَائِي الدَّارِ وَالنَّفَرِ
وَمُحْرِمٍ أَشْعَثٍ لَمْ يَقْضِ عُمْرَتَهُ ... يَا لَلرِّجَالِ وَبَيْنَ الحِجْرِ وَالحَجَرِ
إِنَّ الحَرَامَ لِمَنْ تَمَّتْ كَرَامَتُهُ ... وَلَا حَرَامَ لِثَوْبِ الفَاجِرِ الغُدَرِ

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب، عم رسول الله ﷺ، وجمع زعماء عشائر قريش، وتحالفوا قيامًا، فتعاقدوا وتعاهدوا علىٰ أنْ لا يجدوا بمكة مظلومًا مِنْ أهلها وغيرهم مِمَّنْ دخلها مِنْ سائر الناس إلَّا قاموا معه، وكانوا علىٰ مَنْ ظلمه حتىٰ تُرَدُّ عليه مظلمته.

فَسُمِّيَ حلف الفضول؛ مِنَ الفضيلة أي: أنَّ الأمر الذي دخلوا فيه وتعاقدوا عليه وهو نصرة المظلوم، أمر فاضل حسن، مِنْ مكارم الأخلاق ومحاسن الشِّيَم.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللهِ بْنِ جُدْعَانَ حِلْفًا مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعَىٰ بِهِ فِي الإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ».

فهو أكرم حِلف سُمِعَ بِهِ وَأَشْرَفَهُ في العرب، وهو أشرف وأسمىٰ وأصدق مِنْ ميثاق الأمم المتحدة؛ لأنَّ ميثاقها لا يتعهد بنصر مِنْ لم يَنضم إليها، وإنَّما هو مقصور علىٰ أهلها فقط، بخلاف حلف الفضول فقد اقتطع علىٰ نفسه نصرة المظلوم أيًّا كان، مِنْ غير شَرْطٍ ولا قيد.

وميثاق جمعية الأمم: ضِمَارٌ ووعدٌ، ونصرةُ حلف الفضول: خَلاصٌ ونَقْدٌ، فمَا بَيْنَ المظلوم وبَيْنَه إلَّا أن ينادي: يا آل حلف الفضول، فتتبادره السيوف، ثم لا تَنْحَجِزُ حتىٰ تَستخرج له حقه مِمَّنْ كان! فشتان شتان!

## الزواج السعيد

لما بلغ رسول الله ﷺ الخامسة والعشرين مِنْ عمره رحل إلىٰ سوق (بُصْرىٰ) ببلاد الشام، تاجرًا علىٰ جهة المضاربة مع خديجة رضي الله عنها، منها المال، ومنه العمل.



وبعد عودته ﷺ مِنْ هذه الرحلة التجارية الظافرة رغب ﷺ ورغبت خديجة في الزواج، فقام أبو طالب بخطبتها مِنْ عمها عمرو بن أسد، وتَمَّ الزواج السعيد، بالسيدة الجليلة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي.

وكان عمر خديجة رضي الله عنها حين الزواج أربعين سنة، وهي أول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ، ولم يتزوج عليها رسول الله ﷺ حتىٰ ماتت، وعاش معها أهنأ عيش عرفه زوجان علىٰ ظهر الأرض، لم تَسُؤْه ﷺ قطُّ ولمْ تُغاضِبْه ولمْ يَنلْها منهُ إيلاءٌ ولا عَتْبٌ قطُّ ولا هَجْرٌ، وكفىٰ بِهِ منقبةً وفضيلةً.

وهي أم أولاده الكرام عليهم السلام إلّا إبراهيم عليه السلام فأمه مارية القبطية.

ففي العام السادس والعشرين مِنْ ميلاده ﷺ وُلِدَتْ البَضْعَةُ النبوية: زينب عليها السلام.

وفي العام التاسع والعشرين مِنْ ميلاده ﷺ وُلِدَ فلذة الكبد: القاسم عليه السلام.

وفي العام الثالث والثلاثين مِنْ ميلاده ﷺ وُلِدَتْ البَضْعة النبوية: رقية عليها السلام.

وفي العام الخامس والثلاثين مِنَ ميلاده ﷺ وُلِدَتْ البَضْعَةُ النبوية: أم كلثوم عليها السلام.

وفي العام الثامن والثلاثين من ميلاده ﷺ وُلِدَتْ البَضْعَةُ والجِهَةِ المُصطَفوية: فاطمة عليها السلام.

وفي العام الحادي والأربعين ولد فلذة الكبد: عبد الله، الملقب بالطيب والطاهر عليه السلام.

## القضاء في وضع الحجر الأسود

حين كان العام الخامس والثلاثون مِنْ ميلاده ﷺ عَزَمَتْ قريش علىٰ تجديد بناء الكعبة المشرفة، فَلَمَّا حان وضع الحجر الأسود اختلفوا في ذلك، كلُّ عشيرة منهم تريد إحراز شَرَفَ وضع الحجر الشريف، فَلَمَّا خَشِيَ أكابرهم وقوع الشر بينهم أشار عليهم كبيرهم في السِّنِّ: أبو أمية بن المغيرة المخزومي والد أم سلمة رضي الله عنها أنْ يُحَكِّمُوا أَوَّلَ دَاخلٍ عليهم، فقبلوا المشورة، فأَطل عليهم الصادق الأمين ﷺ فقالوا: أتاكم الأمين، وكانوا يسمونه بذلك قبل البعثة!

فَحَكَّمُوه ورضُوا بِمَا حكم، فأَمَرَ بَثوبٍ فبُسط، فَوضِع الحجر في وسطه، ثم أَمَرَ رجلًا مِنْ كُلِّ فَخذٍ مِنْ أَفخاذ قريش أنْ يأخذ بناحية الثوب، فلَمَّا قربوا مِنْ موضع الحجر أخذه رسول الله ﷺ فوضعه بيده في مكانه المعروف.

## حفظ الله تعالى رسوله ﷺ قبل البعثة

كان ﷺ مِنْ أكمل الناس تربية ونشأة، لم يزل معروفًا بالصدق والبر والعدل ومكارم الأخلاق، وترك الفواحش والظلم وكل وصف مذموم، مشهودًا له بذلك عند جميع مِنْ يعرفه قبل النبوة، وممن آمن به، وممن كفر بعد النبوة لا يُعرف له شيء يُعاب به؛ لا في أقواله، ولا في أفعاله، ولا في أخلاقه، ولا جُرِّب عليه كِذْبةٌ قط، ولا ظُلمٌ، ولا فاحشة، وكان خَلْقُه وصورته مِنْ أكمل الصور وأَتَمِّهَا وأَجْمَعِها للمحاسن الدالة علىٰ كماله ﷺ.

ثم حبَّب الله إليه الخلوة والتعبد لربِّه، وكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالي ذوات العدد، وبُغِّضت إليه الأوثان ودين قومه، فلم يكن شيء أبغض إليه مِنْ ذلك.

## إشراق نور النبوة وشمس الرسالة

فلما كَمَلَ لرسول الله ﷺ أربعون سنة أكرمه الله تعالىٰ بنور النبوة الخاتمة والرسالة التامة، فنزل عليه الوحي مِنْ إله الأولين والآخرين سبحانه وتعالىٰ، وهو ﷺ في غار حراء، وذلك يوم الاثنين مِنْ شَهر ربيعٍ الأول.

وقد «فَجِئَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقَالَ ﷺ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، قَالَ ﷺ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ، حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، حَتَّىٰ بَلَغَ مِنِّي الجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: ١-٥].

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ، حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، قَالَ لِخَدِيجَةَ: أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي، لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي، فَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا، أَبْشِرْ، فَوَاللهِ لَا يُخْزِيكَ اللهُ أَبَدًا، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الحَقِّ.

ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّىٰ أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّىٰ بْنِ قُصَيٍّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بِالعَرَبِيَّةِ مِنَ الإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ وَرَقَةُ: ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَىٰ؟ فَأَخْبَرَهُ ﷺ مَا رَأَىٰ، فَقَالَ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ».

## حراسة السماء حفظًا للوحي

كانت الكهانة فاشية في العرب، وكان الكهنة مرجع أكثر العرب في أحوالهم وشؤونهم، وكان مصدر أولئك الكهنة الشياطين الذين كانوا يسترقون السمع مِنْ ملائكة السماء الدنيا مِمَّا يتحدثون عنه مِنْ أخبار أهل الأرض، ولذلك افتتن بِهم أكثر العرب؛ لموافقة كثير مِنْ أخبارهم للواقع.

فلما بعث الله الصادق الأمين ﷺ أمَر الله تعالىٰ الملائكة الكرام بتشديد حراسة السماء الدنيا مِنْ أولئك الشياطين، ورمي مَنْ اقترب منهم بالشُّهبِ الحارقة.

قال الله تعالىٰ -عن الجن أنَّهم قالوا-: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [سورة الجن:٨-٩].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰ وَيُقۡذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٖ ۝٨ دُحُورٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنۡ خَطِفَ ٱلۡخَطۡفَةَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ [سورة الصافات:٦-١٠].

والحكمة في هذا التشديد والحراسة وتتابع الرمي بالشهب وكثرته بعد البعثة: حفظ الوحي عن الالتباس والاختلاس، وليكون ذلك أظهر للحجة، وأقطع للشبهة.

قال ﷻ: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُمۡ وَمَا يَسۡتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّمۡعِ لَمَعۡزُولُونَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٠-٢١٢].

### الجهر بالدعوة

لَبِثَ رسول الله ﷺ بعد البعثة ثلاث سنين يدعو إلىٰ الله تعالىٰ سرًّا علىٰ الأكثر، وقد يدعو جهرًا علىٰ جهة الأنفع!

وبعد دخول العام الرابع بدأ يدعو إلىٰ الله جهرًا، علىٰ جهة الثبوت.

وقد افتتح ﷺ هذه المرحلة بصرخة نذير علىٰ جبل الصفا المقدس.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «لَمَّا نَزَلَ قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [سورة الشعراء:٢١٤]. صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ، لِبُطُونِ قُرَيْشٍ، حَتَّىٰ اجْتَمَعُوا، فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ، قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا

لَكَ سَائِرَ الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا، فَنَزَلَتْ سورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [سورة المسد:١].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «لَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمَعُوا فَعَمَّ وَخَصَّ، فَقَالَ: «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يَا فَاطِمَةُ، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا».

فكانت هذه الصيحة الحانية المشفقة إعلان التمسك بعروة التوحيد الوثقىٰ، وأنَّها الجامعة لشمل الأحبة والقربىٰ، فَمَنْ لم يستمسك فلا صلة ولا محبة؛ لأنَّ حق الله تعالىٰ أعظم، وحرمة عبادته أعلىٰ مِنْ كل الحرمات، وقداسة طاعته فوق كل المقدسات!

## الهجرة إلى الحبشة

بعد أنْ جهر رسول الله ﷺ بالدعوة فشا الإسلام في مكة، ودخل أكثر بيوتَها، بل دخل بيوتَ أئمة الكفر مِنْ قريش، فأظهروا العداوة والبغضاء، والأذية القولية والفعلية، فأنزلوا ألوان العذاب بمن آمن بالله وصدق رسول الله ﷺ، فضاقت مكة بفجاجها وأرجائها بأولئك المؤمنين السابقين إلىٰ الإسلام، وليس لهم منعة تمنع عنهم عدوان أئمة الكفر مِنْ قريش!

أَمَّا نبينا الكريم ﷺ فقد أَيَّده الله بعمه أبي طالب، وكان شريفًا معظَّمًا في قريشٍ، مُطاعًا في أهل مكة، لا يتجاسرون علىٰ مكاشفته بشيءٍ مِنَ الأذىٰ.

وكان مِنْ حكمة أحكم الحاكمين ﷻ بقاؤه علىٰ دينِ قومه لِمَا في ذلك مِنَ المصالح التي تبدو لِمَنْ تأمَّلها!

فَلَمَّا رأىٰ رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه مِنَ البلاء، وما هو فيه مِنَ العافية، بمكانه مِنَ الله ومِنْ عمه أبي طالب، وأنَّه لا يقدر أنْ يمنعهم مِمَّا هم فيه مِنَ البلاء، قال لهم ﷺ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَىٰ أرضِ الحَبَشَةِ؛ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَم عِنْدَهُ أحدٌ، وَهِيَ أرضُ صدقٍ، حَتَّىٰ يجعلَ اللهُ لَكُمْ فرجًا مما أنتم».

فخرج عند ذلك المسلمون مِنَ أصحاب رسول الله ﷺ إلىٰ أرض الحبشة؛ مخافة الفتنة، وفرارًا إلىٰ الله بدينهم، فكانت أَوَّلَ هجرة في الإسلام.

خرج أولئك الصحب الكرام متسلِّلين سرًّا، فوفَّق الله لهم ساعةَ وصولهم إلىٰ الساحل سفينتَين للتجَّار، فحملوهم فيها إلىٰ أرض الحبشة، وكان مخرجهم في رجبٍ سنةَ خَمسٍ من البعثة، وخَرَجتْ قريش في آثارهم حتىٰ جاؤوا البحر فلم يدركوا منهم أحدًا، ولله الحمد رب العالمين.

وكان عدد المهاجرين: أربع نسوة واثني عشر رجلًا، وفي شهر شوال سنة خمس مِنَ البعثة بَلَغَهُم خبر إسلام كفرة قريش وسكون فتنتهم للمؤمنين، ففرح الصحابة بِهذا الخبر، واشتاقوا للعودة إلىٰ مكة المكرمة؛ للفوز بشرف الصحبة لإمام المتقين ﷺ، وجوار البيت العتيق -صانه الله وأدام تشريفه-، ولأجل العودة إلىٰ ديارهم وأهليهم، فالغربة كربة ولو كانت يومًا!

فَلَمَّا اقتربوا مِنْ مكة تَبَيَّنَ لهم أنَّ خبر إسلام كفرة قريش كَذِبٌ، فمنهم مَنْ دخل، ومنهم مَنْ لم يدخل!

ثم عزم الصحابة رضي الله عنهم على الهجرة مَرَّة ثانية إلى الحبشة، وتسللوا خُفية، فاجتمع عددهم في هذه الهجرة الثانية: ثلاثة وثمانون رجلًا، وثماني عشرة امرأة.

فنزلوا في أرض الحبشة، في بلدة هي فيما يُعرف الآن بأرتيريا!

نزلوا عند الملك العادل! فآواهم، ورعاهم، وأَمَّنَهم، فعاشوا ببلاده آمنين على دينهم لا يخشون ظلمًا ولا هضمًا!

فَلَمَّا عَلِمَتْ قريشٌ بِهذا جُنَّ جنونُها! فأرسلت بِهدايا جزيلة فاخرة، وأرسلتْ بِها مع داهية من دهاتِها وله مع النجاشي صداقة!

ولكن خَيَّبَ الله سَعي أئمة الكفر مِنْ قريش في صَدِّ النجاشي عن إيواء الصحب الكرام رضي الله عنهم، وعُقِدتِ المناظرة بَيْنَ سفير قريش وبَيْنَ شيخ المهاجرين بالحبشة السيد الشهيد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، الذي أفحم سفير قريش بمهارته الفائقة في الحِجاج والمنازلة! فوقع الحق وبطل ما كانوا يكيدون، فرجع سفير قريش إلى مكة خائبًا، وأعلن النجاشي مقولته الماجدة الخالدة: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ آمِنُونَ بِأَرْضِي، مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، ثُمَّ مَنْ سَبَّكُمْ غَرِمَ، فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي جَبَلًا مِنْ ذَهَبٍ وَأَنِّي آذَيْتُ رَجُلًا مِنْكُمْ!

ثم قال النجاشي لوزرائه: رُدُّوا عَلَيْهِمَا -أي على سفيري قريش- هَدَايَاهُمَا فَلَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا!

## الحصار الظالم

وَلَمَّا رأت قريش أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ قد كثروا وعزّوا لا سيَّما بعد إسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما، وأنَّ المهاجرين إلىٰ الحبشة قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنًا وقرارًا، وأنَّ النجاشي قد منع مَنْ لجأ إليه منهم، ورأوا الإسلام يفشو في القبائل.. تمخّض حقد المشركين عن عقد معاهدة تعتبر المسلمين ومَنْ يرضىٰ بدينهم؛ أو يعطف عليهم؛ أو يحمي أحدًا منهم: حزبًا واحدًا دون سائر الناس، ثم اتفقوا ألَّا يبيعوهم، أو يبتاعوا منهم شيئًا، وألَّا يزوجوهم، أو يتزوّجوا منهم، وكتبوا ذلك في صحيفة علّقوها في جوف الكعبة، توكيدًا لنصوصها!

وضيّق الحصار علىٰ المسلمين، وانقطع عنهم العون، وقلّ الغذاء حتىٰ بلغ بِهم الجهد أقصاه، وسمع بكاء أطفالهم مِنْ وراء الشّعب، وعضتهم الأزمات العصبية، حتىٰ رثىٰ لحالهم الخصوم، ومع اكفهرار الجو في وجوههم، فقد تحملوا في ذات الله الويلات!

ولم تفتر حدة الوثنيين في الحملة علىٰ الإسلام ورجاله، وفي تأليب العرب عليهم مِنْ كُلِّ فَجٍ.

وكان الصحابة إذا قدمت عير إلىٰ مكة، يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئًا مِنَ الطعام قوتًا لعياله، فيقوم أبو لهب فيقول: يا معشر التجار! غالوا علىٰ أصحاب محمد، حتىٰ لا يدركوا معكم شيئًا، وقد علمتم مالي ووفاء ذمتي، فأنا ضامن ألَّا خسار عليكم. فيزيدون عليهم السلعة قيمتها أضعافًا، حتىٰ يرجع أحدهم إلىٰ أطفاله، وهم يتضاغون مِنَ الجوع، وليس في يده شيءٌ يطعمهم به، ويغدو التجار

علىٰ أبي لهب، فَيُرْبَحَهم فيما اشتروا مِنَ الطعام واللباس، حتىٰ جهد المؤمنون ومَنْ معهم جوعًا وعُريًا!

فانظروا كيف انتهىٰ الحصار بالمسلمين؟! وكيف أضناهم الحرمان ؟!

وقد أحزنت تلك الآلام بعض ذوي الرحمة مِنَ قريش، فكان أحدهم يوقر البعير زادًا، ثم يضربه في اتجاه الشعب ويترك زمامه ليصل إلىٰ المحصورين، فيخفّف شيئًا مما بِهم من إعياء وفاقة..

وبقيت هذه الضائقة ثلاث سنين كالحة، كان رباط الإيمان وحده هو الذي يُمسك القلوب، ويُصبِّر علىٰ اللأواء!

ومكث بنو هاشم وبنو المطّلب بالشِّعب ثلاث سنين، حتىٰ بلغ منهم الجهد مبلغه، فقيَّض الله سبحانه وتعالىٰ لنقض الصحيفة أُنَاسًا مِنْ أشراف قريش، وكان الفضل الأول في ذلك لهشام بن عمرو، فقد مشىٰ إلىٰ زهير بن أبي أمية المخزومي، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، فقال له: يا زهير، أقد رضيت أن تأكل الطعام، وتلبس الثياب، وتنكح النساء، وأخوالك حيث قد علمت؟! لا يبتاعون، ولا يبتاع منهم، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم، أمَا إني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام، ثم دعوته إلىٰ مثل ما دعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبدًا، قال: ويحك يا هشام، فماذا أصنع؟! إنَّما أنا رجل واحد، والله لو كان معي رجل آخر لقمتُ في نقضها، فقال له: قد وجدتُ رجلًا، قال: مَنْ هو؟ قال: أنا، فقال له زهير: أَبْغِنَا ثالثًا!

فذهب إلىٰ المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم، أقد رضيت أنْ يهلك بطنان مِن بني عبد مناف، وأنت شاهد علىٰ ذلك، موافق لقريش فيهم؟ أمَا والله لو أمكنتموهم مِنْ هذه لتجدنَّهم إليها منكم سِراعًا، قال: ويحك فماذا أصنع؟ إنَّما أنا رَجُلٌ واحدٌ، قال: قد وجدت لك ثانيًا، قال: مَنْ؟ قال: أنا، قال: أَبْغِنَا ثالثًا، قال: قد فعلتُ، قال: مَنْ؟ قال: زهير بن أبي أمية، فقال أَبْغِنَا رابعًا، فذهب إلىٰ أبي البَخْتَري بن هشام، فقال له نحو ما قال للمطعم بن عدي، فقال له: ويحك وهل نجد أحدًا يُعِينُ علىٰ ذلك؟ قال: نعم؛ زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدي، وأنا، فقال: أَبْغِنَا خامسًا.

فذهب إلىٰ زمعة بن الأسود بن المطّلب بن أسد، فكلمه وذكر له قرابته وحقّهم، فقال له: وهل علىٰ هذا الأمر الذي تدعوني إليه مِنْ أحد، قال: نعم، ثم سمَّىٰ له القوم!

فاتَّعدوا خَطْم الحجون ليلًا بأعلىٰ مكة، فاجتمعوا هنالك، وأجمعوا أمرهم، وتعاقدوا علىٰ القيام في الصحيفة حتىٰ ينقضوها، وقال زهير: أنا أبدؤكم فأكون أول مِنْ يتكلم، فلما أصبحوا غدا إلىٰ أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلَّة، فطاف بالبيت سبعًا، ثم أقبل علىٰ الناس فقال: أنأكل الطعام، ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكىٰ لا يبتاعون، ولا يبتاع منهم، والله لا أقعد حتىٰ تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة!

فقال أبو جهل، وكان في ناحية المسجد: كذبت والله لا تشق، فقال زمعة بن الأسود: أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حين كتبت!! فقال أبو البختري: صدق

زمعة لا نرضىٰ ما كتب فيها، ولا نقرّ به، فقال المطعم بن عدي: صدقتما وكذب مَنْ قال غير ذلك، نبرأ إلىٰ الله منها ومِمَّا كُتب فيها، وقال هشام بن عمرو نحوًا مِنْ ذلك، فقال أبو جهل: هذا أَمْرٌ قُضي بليل!

وأبو طالب جالس في ناحية المسجد لا يتكلم.

وقام المطعم بن عدي إلىٰ الصحيفة ليشقها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلَّا «باسمك اللهم»!

ولما مُزِقَتِ صحيفة الظلم.. قال أبو طالب في شأن هؤلاء الذين تسببوا في نقضها قصيدة يمدحهم فيها، ومنها:

جَـزَىٰ اللهُ رَهْطًـا بِـالحَجُونِ تَتَـابَعُوا ... عَلَـىٰ مَـلأٍ يَهْـدِي لِحَـزْمٍ وَيُرْشِـدُ

قُعُـودًا لَـدَىٰ خَطْـمِ الحَجُـونِ كَـأَنَّهُمْ ... مَقَاوِلَــةٌ بَــلْ هُــمْ أَعَــزُّ وَأَمْجَــدُ

## عام الحزن

في هلال المحرم سنة عشر مِنَ البعثة مُزِقَتْ صحيفة الظلم والقطيعة، وأُبطِلَ الحصار الظالم علىٰ رسول الله ﷺ وأنصاره مِنْ عشيرته والمؤمنين، فخرج السيد الشريف المطاع أبو طالب بن عبد المطلب مِنَ الحصار الظالم في شعب بني هاشم منهك القوىٰ قد هدته السنون وصلف قريش وعدوانِها علىٰ ابن أخيه المحبوب لديه.. أعظم مِنْ ولده وبنيه!

وبعد أشهر معدودة مرض أبو طالب مرض الموت! ومات الشهم النبيل، المناصر الصادق البار برسول الله ﷺ، فيا لحزن رسول الله ﷺ وهو يرىٰ عمه

الحنون عليه، المناصر له يودع الحياة في وقت ما زالت عداوة أئمة الكفر مِنْ قريش قائمة علىٰ قدم وساق!

رحل أبو طالب ونبينا ﷺ أحوج ما يكون إليه! فتطاول سفهاء قريش علىٰ جسده المفدىٰ ﷺ، وقد أوجز ﷺ الحال قبل وبعد وفاة أبي طالب فقال:

«مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ، حَتَّىٰ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ»!

كلمات تتندىٰ منها الخدود، ويعتصر لها القلب ألمًا وتُغَصُّ الحناجر بالنشيج!

وبعد ثلاثة أيام فجع ﷺ بوفاة الزوجة الصادقة البارة المواسية الباذلة نفسها ونفيسها، وزيرة الصدق والبر والعفاف، دوحة العقل الوارفة الضلال، معين العشرة الحسنة الخالدة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي.

لقد عظم حزن رسول الله ﷺ بموت أبي طالب وخديجة رضي الله عنها مشفقين جليلين ومناصرين صادقين بارين، سعد ﷺ بهما في حياته، وحفظ ذكرياتِهما بقية حياته!

## الرحلة إلى الطائف

بعد وفاة أبي طالب وخديجة رضي الله عنها أظلمت مكة وهي المضيئة، وضاقت وهي الفسيحة!

سم الخياط مع الأحباب ميدان

وقد تضيق علىٰ الأعدا خراسان

فيمم ﷺ وجهه شطر مدينة الطائف، فأقام عندهم بضعة أيام يدعوهم إلىٰ الإسلام، وعرض علىٰ ثلاثة من زعمائها إيواءه حتىٰ يبلغ رسالة الله تعالىٰ فأبوا وأعرضوا، وسلطوا سفهاءهم عليه وعلىٰ مولاه ورفيقه في هذه الرحلة الصاحب الجليل زيد بن حارثة رضي الله عنه.

فرجع رسول الله ﷺ من الطائف وقد نزل به من الهم والغم ما تنوء بحمله الجبال الراسية!

وبعد تضرع عظيم وابتهال خالص للحي القيوم سبحانه وتعالىٰ أرسل الله إليك ملك الجبال!

قالت عائشة رضي الله عنها: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللهَ عز وجل قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رُدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ»، قَالَ:





«فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ»، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا».

ولما اقترب ﷺ مِنْ ديار مكة رفض أئمة الكفر مِنْ قريش دخوله إليها، فعرض علىٰ المطعم بن عدي أنْ يَدخل في جواره فرحب بذلك!

وانطلق المطعم بن عدي ومعه سبعة مِنْ أولاده كلهم متقلدو السيوف، فطاف ﷺ بالبيت العتيق آمنًا في جوار هذا العربي الشهم النبيل وأبنائه ومَنْ الذي يقوىٰ علىٰ خفر ذمة المطعم بن عدي؟!

وقد رثاه حسان بن ثابت رضي الله عنه وفاءً لصنيعته مع رسول الله ﷺ، فقال حسان:

أَيَا عَيْنُ فَابْكِي سَيِّدَ القَوْمِ وَاسْفَحِي ... بِدَمْعٍ وَإِنْ أَنْزَفْتِهِ فَاسْكُبِي الدَّمَا

وَبَكِّي عَظِيمَ المَشْعَرَيْنِ كِلَيْهِمَا ... عَلَىٰ النَّاسِ مَعْرُوفًا لَهُ مَا تَكَلَّمَا

فَلَوْ كَانَ مَجْدٌ يُخْلِدُ الدَّهْرَ وَاحِدًا ... مِنَ النَّاسِ، أَبْقَىٰ مَجْدُهُ اليَوْمَ مُطْعِمَا

أَجَرْتَ رَسُولَ اللهِ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا ... عَبِيدَكَ مَا لَبَّىٰ مُهِلٌّ وَأَحْرَمَا

فَلَوْ سُئِلَتْ عَنْهُ مَعَدٌّ بِأَسْرِهَا ... وَقَحْطَانُ أَوْ بَاقِي بَقِيَّةِ جُرْهُمَا

لَقَالُوا هُوَ المُوفِي بِخُفْرَةِ جَارِهِ ... وَذِمَّتِهِ يَوْمًا إِذَا مَا تَذَمَّمَا

فَمَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ المُنِيرَةُ فَوْقَهُمْ ... عَلَىٰ مِثْلِهِ فِيهِمْ أَعَزَّ وَأَعْظَمَا

وَآبَىٰ إِذَا يَأْبَىٰ وَأَلْيَنَ شِيمَةً ... وَأَنْوَمَ عَنْ جَارٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

## الإسراء والعروج

بعد كُرَبٍ متتابعة علىٰ رسول الله ﷺ أبرزها ما ذُكر سابقًا مِنْ وفاة المشفقين المناصرين: أبي طالب وخديجة رضي الله عنها، ثم حَماقة سفهاء أهل الطائف...

بعد ذلك وغيره جاءت رحلة الإسراء والعروج برسول الله ﷺ، تسلية له وتأنيسًا؛ ليسرِّيَ الله عن نفس نبيه المكلومة، وفؤاده المحزون، وفِكْرِه الكسير!

ولعظمة هذه الرحلة التي لا أشرف منها خَصصتُها بروضٍ منفردٍ، نَثرتُ فيه أزهارها وأريجها، وعَمَّا قريب ترسو بنا سفينة التطواف في «الرياض البواسم من سيرة أبي القاسم ﷺ».

## من عبر هذا العرض لميلاد رسول الله ﷺ وبعثته

**الأولىٰ:** بالغ حكمة الله تعالىٰ في جعل البعثة في أشرف الناس نسبًا؛ ليئلا يكون للمعرضين حجة في الإعراض عن الإسلام بدعوىٰ أنَّ المرسل وضيع في نسبه وحسبه، وأنَّه أراد أنْ يرفع خسيسته بالاكتساء بثياب النبوة وحُلل الرسالة.

**الثانية:** تفضيل الله تعالىٰ لجنس العرب علىٰ سائر الأجناس؛ فخصهم بأفضل نبي وأشرف رسول، وبأفضل وحي وأقدس كلام، وبأكرم بلدة أم القرىٰ وطابة الطيبة.

**الثالثة:** أنَّ رسول الله ﷺ لم يولد في يوم فضيل ولا شهر فضيل؛ لئلا يكتسب الفضل والشرف مِنْ فضل اليوم والشهر، بل ولد في يوم الاثنين وفي شهر ربيعٍ الأول ليكون اليوم والشهر هما المُفَضَّلانِ بأنْ كانا ظرفًا زمانيًّا لميلاد سراج الظلمات ﷺ.

**الرابعة:** حفظ الله تعالىٰ لنبيه ﷺ قبل أنْ يُبعث؛ فصانه عن الأدناس والأرجاس، التي تلطخت بِها الجاهلية الجهلاء، في العبادة والأخلاق، أمَّا نبينا ﷺ فطاهر مُطَهَّرٌ عن مظاهر الشرك والوثنية القولية والفعلية، وعن أدناس الأخلاق وسفاسفها!

**الخامسة:** تتابع اليتم علىٰ رسول الله ﷺ فقد خرج إلىٰ الدنيا مِنْ بطن أمه وقد مات أبوه، ثم توفيت أمه وهو في أول السنة السابعة مِنْ عمره، ثم مات جده وهو في الثامنة مِنْ عمره، فبلغ ﷺ ذِروة اليتم بموت أشفق الخلق علىٰ المخلوق والديه وجده! وهكذا حياة أكثر العظماء تبدأ بلسعات الفاقة ومرارة اليتم، ولكي لا يكون

للمبطلين ذريعة إلىٰ الطعن في النبوة بأنْ يقولوا: سعىٰ إلىٰ النبوة بإشارة أبيه أو جده المعظم في قريش، وأنَّه أراد توسيع الزعامة ورفع سقفها، فشاء الله أنْ يعيش ﷺ يتيمًا؛ ليَعلم أعداء الله أن الله هو خير حافظًا وهو أرحم الراحمين، وأنَّه لا غالب إلَّا الله.

**السادسة:** مكانة رسول الله ﷺ في قومه قبل أنْ تُشرق عليه شمس الرسالة؛ فكان الصادق الأمين، والقاضي المرضي.

**السابعة:** تأييد الله تعالىٰ لنبيه ﷺ بحراسة السماء بالملائكة الغلاظ الشداد؛ حفظًا للوحي المنزل عليه ﷺ مِنْ اختلاس شياطين الكهنة، فَمَّا أعظم شأن البعثة النبوية وأرفع شأنها، وقد أيَّدها الله بالآيات العظيمة، التي عرفها الجن والإنس وغيرهم.

**الثامنة:** عظيم طاعة رسول الله ﷺ لربه؛ فحين أمره بالدعوة سرًا.. امتثل أمر ربه، وحين أمره بالجهر بالدعوة والصدع بالحق.. بادر إلىٰ ذلك؛ لتعلم أنَّ الشجاعة إقدام وإحجام، وظهور وخفاء، والله يؤتي الحكمة مَنْ يشاء!

**التاسعة:** أنَّ لله جنود السماوات والأرض، فأيَّد الله نبينا الكريم ورسولنا العظيم ﷺ بعمه أبي طالب؛ فكان نعم المناصرين الكرام، وأبىٰ ذلك سيد اللئام أبي لهب؛ فلم يناصر ابن أخيه لا ديانة ولا مروءة؛ لتعلم أن قلوب الأقارب بيد خالقها، يقبل عليك بما شاء ويصرف عنك ما يشاء، فلا القرابة مَوطنُ النصرة، ولا البعد مَوئِلُ البغضة!



**العاشرة**: أنَّ حب الأوطان تحت حب الأديان، فمكة أحب البقاع في قلوب مهاجري الحبشة، ولكن لما ضاقت عليهم في أمر دينهم رغبوا عنها إلىٰ أرض بعيدة لم يألفوها يومًا مِنَ الدهر!

**الحادية عشرة**: أنَّ العدل في الملوك شرف خالد ومجد باقٍ، يقبل بقلوب البعداء إليهم، حين يأمنون علىٰ دينهم وأنفسهم، فملوك الأرض في ذلك الوقت كثر، ولكن فاز بلقب العدل والسلامة مِنَ الظلم... النجاشي الأصحم ملك الحبشة الأعظم!

**الثانية عشرة**: أنَّ قلوب العباد بيد الخالق العظيم قيوم السماوات والأرضين الحي القيوم، فأين السابقون الأولون وأين النجاشي؛ فلا بينهم نسب ولا جوار؟! وحين وصلوا إلىٰ جواره.. أَلِفَهُم وأَلِفُوه، وأَمَّنَهُم وشكروه! ولم يسبق لهم به معرفة وهم علىٰ غير دينه، وبعث إليه أئمة الكفر مِن قريش بصديقه عمرو بن العاصي؛ ليصده عن إيوائهم وحمايتهم فلم تُغن الصداقة شيئًا! لتعلم أنَّ الأمر لله مِنْ قبل ومِنْ بعد، فَسلِّم أمرك إليه.. وفَوِّض كُلَّ شؤونك إليه!

أَسْتودِعُ اللهَ أمُوري كلَّها ... إنْ لم يكن رَبِّي لَهَا فمن لَهَا

تَبارَكَ اللَهُ وَجَلَّ اللَهُ ... أَعظَمُ ما فاهَت بِهِ الأَفواهُ

لَنا مَليكٌ مُحسِنٌ إِلَينا ... مَنْ نَحنُ لَولا فَضلُهُ عَلَينا

سُبحانَ مَنْ ذَلَّت لَهُ الأَشرافُ ... أَكرَمُ مَن يُرجىٰ وَمَن يُخافُ

يا معشر الإخوة: العِبر أكثر من هذا.. لِمَنْ رُزِقَ فهمًا وتدبرًا، والله يؤتي فضله مَنْ يشاء، وفوق كل ذي عِلْمٍ عليم.

اللهم أعنا وقونا وتقبل منا.

اللهم زدنا هدىٰ وتقىٰ.

اللهم اشرح صدورنا وأصلح فساد قلوبنا،

اللهم هب لنا من لدنك رحمة وهيء لنا مِنْ أمرنا رشدًا.

اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا مِنْ لدنك رحمة إنَّك أنت الوهاب.

اللهم ضاعف حُبَّنَا لنبينا وتعظيمه وإجلاله، وتحقيق اتباعه علىٰ الوجه الذي يرضيك ويقربنا إليك.

اللهم ثبتنا علىٰ الإسلام وعلىٰ السنة، حتىٰ نلقاك وأنت راضٍ عنا.

اللهم صل وسلم وبارك علىٰ عبدك ورسولك محمد.. عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين

## المجلس الثاني: الرياض الأنيقة بأوصاف أعضاء خير الخليقة



أحمدك اللهم علىٰ ما أَسْبَلت مِنْ نعمائك الشوامل.

وأشكر لك علىٰ ما أجزلْتَ مِنْ آلائك الكوامل.

حمدًا أستنزل به فيض جودك الهاطل.

وشكرًا أستمطر به غيثَ جودك الواصل.

وأشهد أنْ لا إله إلَّا أنت وحدك لا شريك لك ولا مماثل.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدك ورسولك وحبيبك وخليلك اصطفيته مِنْ خِيرة العرب وأشرف القبائل.

وأيدته بالبراهين اليقينية وأوضح الدلائل.

وجعلته مَجْمعًا للخيرات ومنبعًا للفضائل.

وزينته بأحسن الأوصاف وأكرم الشمائل.

اللهم صَلِّ وسلِّم وبارِك عليه كلما ذكرك وذكره ذاكر.. وغفَل عن ذكرك وذكره غافل.

**أما بعد:** فإنَّ الله سبحانه وتعالىٰ أنشأ النفوس مختلفة، فمنها الغاية في جودة الجوهر، ومنها المتوسط، ومنها الكَدَر، وفي كُلِّ مرتبة درجات.

وقد جَمَعَ الله تعالىٰ لرسوله ﷺ أجمل الأوصاف وأفضل الشمائل، وأبعد عنه قبيح الصفات والرذائل، فكان سيد الكاملين عليه صلوات رب العالمين المتتابعة إلىٰ يوم الدين.

ولقد أفاض الصحابة رضي الله عنهم في ذكر صفاته الخَلقية وحدثوا بالكثير الطيب مِنْ صفات جسده الشريف المفدىٰ مِنْ رأسه الشريف إلىٰ قدمه الطاهرة.. هيئةً ولونًا، فاكتملت الصورة الشريفة لذوي الأبصار واستبانت الطَّلعة الكريمة لذوي البصائر.

وهذا الحفظ لصفاته وشمائله مِنْ خصوصياته ﷺ التي لم يُشارِكه فيها أَحْد قَطُّ.

فرضي الله عن أصحاب رسول الله ﷺ الذين حَفِظوا وعلَّموا، وأخذوا ثم نشروا!

ولقد كانت طلعته الشريفة وجسده الأغر مهوىٰ أفئدة المحبين! إجلالًا وتعظيمًا!

فعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: «لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ انْجَفَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَكُنْتُ فِيمَنِ انْجَفَلَ، فَلَمَّا تَبَيَّنْتُ وَجْهَهُ عَرَفْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ».

وقال الصاحب الجليل والقائد الشهيد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

لَوْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ آيَاتٌ مُبَيِّنَةٌ ... كَانَتْ بَدَاهَتُهُ تُنْبِيكَ بِالخَبَرِ

وقال الصاحب الجليل والشاعر الصادق في الحب والدفاع.. حسان بن ثابت رضي الله عنه:

وأَحسنُ مِنْكَ لم ترَ قطُّ عيني ... وَأَجْمَلُ مِنْكَ لَمْ تَلِدِ النّسَاءُ

خُلِقتَ مُبَرَّءًا مِنْ كُلِّ عَيْبٍ ... كَأَنكَ قَدْ خُلِقْتَ كما تَشَاءُ




وقال الصاحب الجليل رجل العالم وداهية قريش: عمرو بن العاصي رضي الله عنه «مَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مُتُّ عَلَىٰ تِلْكَ الحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ».

وقال القاضي عياض في «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ﷺ»: «اعلم -نوَّرَ الله قلبي وقلبك، وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك- أنك إذا نظرت إلىٰ خصال الكمال التي هي غير مكتسبة، وفي جِبلَّة الخِلْقَة وجدته ﷺ حائزًا لجميعها، مُحيطًا بشَتَات محاسنها دون خلافٍ بين نَقَلَة الأخبار لذلك؛ بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع، أمَّا الصورة وجمالها، وتناسب أعضائه في حسنها، فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك....».

ثم ذكر أكثر مِنْ عشرين حديثًا، ساق بعضها، وأشار إلىٰ الأخرىٰ، وعليه فهي من المتواتر المعنوي باليقين المتفق عليه بين المسلمين.

وقال العلامة ابن الرَّصَّاع القرطبي رحمه الله: «..والأحاديث في ذلك كثيرة قطعية، وأنَّه ﷺ أكمل الناس صورة في قَدِّه، ولونه، وطوله، وعينيه، وصورة وجهه ونضَارَته، وحركته، ومشيته، وأسنانه، وتبسمه، وأنَّ ما مِنْ شَكْلٍ منه ﷺ إلَّا وقد خلقه الله تعالىٰ علىٰ أكمل ما يكون وأَتمَّه».

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «كان ﷺ علىٰ أكمل الصفات خَلقًا وخُلقًا فهو كُلُّ الكمال وجُلُّ الجلال وجُملة الجمال عليه أفضل الصلاة والسلام».

وقال العلامة القسطلاني: «اعلم أنَّ مِنْ تمام الإيمان به ﷺ الإيمان بأنَّ الله تعالىٰ جعل خَلْق بدنه الشريف علىٰ وجهٍ لم يظهر قبله ولا بعده خَلْق آدمي مثله، فيكون ما يشاهد مِنْ خلق بدنه آيات علىٰ ما يتضح لك مِنْ عَظيم خُلُقِ نفسه الكريمة، وما يتضح مِنْ عظيم أخلاق نفسه آيات علىٰ ما تحقق له مِنْ سر قلبه المقدس».

ومشاركة مني في خدمة هذا الجانب العظيم مِنْ جوانب السيرة النبوية علىٰ صاحبها الصلاة والسلام فها أنا ذا أقتطف أزهارًا ندية لأنثرها بين يدي المحبين لسيد المرسلين ﷺ في هذا المجلس المبارك.

أسأل الله تعالىٰ أنْ يقبل بقلوبكم عليها وأنْ يُصلح قلبي فيها.

رب يسر وأعن يا كريم

## اعتدال خَلْقِ رسول الله ﷺ

قال أبو الطفيل رضي الله عنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ رَجُلٌ رَآهُ غَيْرِي، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: «كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصَّدًا».

والمُقَصَّد هو الذي ليس بجسيم ولا نحيف، ولا طويل ولا قصير، بل معتدل لا يميل إلىٰ أحد طرفي التفريط والإفراط.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبْعَةً لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالقَصِيرِ، حَسَنَ الجِسْمِ».

وقال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُعْتَدِلَ الخَلْقِ بَادِنًا مُتَمَاسِكًا».

والبادن، هو الضخم في العظم واللحم، ولمَّا خشي تبادر خَوَرَ بُنْيَةِ العظم، وترهل لحمه، احترز بقوله: متماسك؛ ليفيد أنَّه مع ضخامة عظمه ولحمه، فهو متماسك في عظمه ولحمه، علىٰ تمام الاعتدال والتوسط، بَيْنَ النحافة والهشاشة عظمًا، وبَيْنَ الرِّقة والسِّمْنَةِ المسترخية شحمًا، فكأنَّ أعضاءه يُمْسِكُ بعضها بعضًا، لم تخرج عن حَدِّ التوسط والاعتدال، ظاهرًا وباطنًا ﷺ.

## صفة قامة رسول الله ﷺ

قال أنس رضي الله عنه: «كَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ»

وقال البراء بن عازب رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مَرْبُوعًا».

وقال أيضًا رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا وَأَحْسَنَهُ خَلْقًا، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْمُمَّغِطِ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ، وَكَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ».

و«الْمُمَّغِطِ» بتشديد الميم الثانية، المتناهي في الطول.

و«الْمُتَرَدِّدِ»، أي: المتناهي في القِصَر كأنه رُدَّ بعض خَلْقه علىٰ بعض وتداخلت أجزاؤه فهو كالقصير مجتمع.

وقال علي رضي الله عنه أيضًا: «كَانَ ﷺ لَيْسَ بِالذَّاهِبِ طُولًا، وَفَوْقَ الرَّبْعَةِ، إِذَا جَاءَ مَعَ الْقَوْمِ غَمَرَهُمْ».

وقوله: «بِالذَّاهِبِ...»، أي: ليس بالمفرط في الطول، بما تقدم بيانه في الأحاديث السابقة.

وقوله: «إِذَا جَاءَ مَعَ الْقَوْمِ غَمَرَهُمْ»، بفتح الغين، والميم- أي: زاد عليهم في الطول، فكان فوق كل من معه، من غمر الماء، إذا علا.

وقال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ، وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُشَذَّبِ».




والمُشَذَّبِ: هو الطويل المفرط في الطول مع نقص في لحمه. وأصله من النخلة الطويلة التي شُذِّب عنها جريدها: أي قُطِّعَ وفُرِّق.

وقالت أم معبد رضي الله عنها: «كان رَسولُ الله ﷺ رَبْعَةً، لَا تَشْنَؤُهُ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ».

## صفة لون رسول الله ﷺ

قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا، وَأَنْوَرَهُمْ لَوْنًا».

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ لَوْنًا...».

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ وَلاَ آدَمَ».

و«أَزْهَرَ اللَّوْنِ»، هو الأبيض المُشْرَب بحمرة، وهو الغاية في الحُسن والاستنارة، والإشراق والملاحة، وعلىٰ هذا عامة أهل العلم.

قوله: «لَيْسَ بِأَبْيَضَ، أَمْهَقَ»، أي: الشديد البياض الخالي عن الحُمْرة والنور الذي صفته تشبه بياض الثلج ، والجصّ، المكروه عند أكثر الطباع السليمة، وربَّما توهمه الناظر أبرص، بل كان بياضه نيرًا مشربًا بحمرة.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزْهَرَ اللَّوْنِ...».

وقال الطفيل رضي الله عنه: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ رَجُلٌ رَآهُ غَيْرِي، قَالَ فَقُلْتُ لَهُ: فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ: «كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا مُقَصَّدًا».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كَانَ ﷺ عَظِيمَ الهَامَةِ أَبْيَضَ مُشْرَبًا حُمْرَةً...».

ومثله عن خمسة عشر صاحبًا رضي الله عنهم فهي متواترة.

ومُشْرَبًا حُمْرَةً، الإشراب: خلط لون بلون، كأن أحد اللونين سقىٰ الآخر.

أما ما جاء عن أنس رضي الله عنه أنَّه ﷺ كان أسمر اللون، فلأهل العلم مع هذا الوصف مسلكان:

**الأول:** تضعيف الرواية الواردة في ذلك.




**الثاني**: الجمع بَيْنَ هذا الوصف، وما تقدم، بأنَّ المراد بالسمرة الحمرة التي تخالط البياض، الكائنة مِنْ كثرة أسفاره وبروزه للشمس ﷺ، والعلم لله.

## صفة الرأس المَنيف:

قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَخْمَ الرَّأْسِ».

وفي لفظ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَظِيمَ الهَامَةِ».

وقالت أم معبد: «لَمْ تُزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ، وَسِيمٌ قَسِيمٌ».

والصَعلة صِغَرٌ في الرأس.

## صفة الشعر الطاهر:

قال قتادة: سألت أنسًا، عن شعر النبي ﷺ فقال: «كَانَ شَعْرُهُ رَجِلًا لَيْسَ بِالجَعْدِ، وَلَا بِالسَّبَطِ، كَانَ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقِهِ وفي لفظ: ليس بجعدٍ قطط، ولا سَبَطٍ رَجِلٍ».

وقال علي رضي الله عنه: « كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَثِيرَ شَعَرِ الرَّأْسِ».

وفي لفظ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَخْمَ الهَامَةِ، حَسَنَ الشَّعَرِ، رَجِلَهُ».

ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقال البراء رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لَهُ شَعَرٌ يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ، بَعِيدُ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، لَيْسَ بِالقَصِيرِ وَلَا بِالطَّوِيلِ».

واللمة مِنْ شَعَرِ الرأس: دون الجُمَّة، سميت بذلك، لأنَّها أَلَمَّت بالمنكبين، فإذا زادت فهي الجُمَّة.

وقال أنس رضي الله عنه: «كَانَ شَعْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ».

## موضع الشيب في شَعَره ﷺ:

شاب ﷺ في مقدم لحيته وهي العَنفقة، وفي صُدْغيه.

و«العَنْفَقَةُ» هي: بين الذَّقَن وطرف الشفة السفلىٰ كان عليها شعر أو لم يكن.

و«الصُّدْغ»: ما بَيْنَ لِحَاظِ العين إلىٰ أصلِ الأُذنِ. وقيل: ما انحدر مِنَ الرأس إلىٰ مَرْكَبِ اللَّحْىٰ.

وهذا البيان لموضع شيبه ﷺ جاء عن ستة مِنَ الأصحاب رضي الله عنهم

وعلىٰ هذا البيان لموضع الشيب صحيح الإجماع كما في «الإمتاع».

وأما عدد الشيب فقال ثابت بن أسلم: قيل لأنس بن مالك رضي الله عنه: «هَلْ شَابَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ فقَالَ: «مَا شَانَهُ اللهُ بِالشَّيْبِ، مَا كَانَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ إِلَّا سَبْعَ عَشْرَةَ أَوْ ثَمَانِ عَشْرَةَ».

وقال أنس رضي الله عنه: «تُوُفِّي رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَمَا فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعَرَةً بَيْضَاءَ».

فهكذا شاب رسول الله ﷺ شيب الكرام في مُقَدَّمِ رأسه ولحيته.

ولذلك فقد حفظ الله تعالىٰ قوىٰ نبينا الكريم ﷺ وبرهان ذلك قول كليم الرحمن موسىٰ عليه السلام كما في حديث الإسراء والعروج: «هَذَا الغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي».

فأشار كليم الرحمن موسىٰ عليه السلام إلىٰ ما أنعم الله به علىٰ نبينا عليهما الصلاة والسلام مِنْ بقاء القوة في الكهولة وإلىٰ أنْ دَخَلَ في سِنِّ الشيخوخة ولم يدخل علىٰ بدنه هرم ولا اعترىٰ قوته نقص، حتىٰ إنَّ الناس في قدومه المدينة لما رأوه

مُرْدِفًا أبا بكر أطلقوا عليه اسم الشاب وعلىٰ أبي بكر اسم الشيخ مع أنه في العمر أسنَّ مِنْ أبي بكر رضي الله عنه.

**صفة الوجه الشريف:**

قال البراء رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهًا».

وسئل رضي الله عنه: «أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ مِثْلَ القَمَرِ».

«أراد السائل مثل السيف في اللمعان والصقالة قال البراء: لا بل مثل القمر الذي فوق السيف في ذلك؛ لأنَّ القمر يشمل التدوير واللمعان بل التشبيه به أبلغ وأشهر، وإنَّما قال جابر بن سمرة: «كان مستديرًا» لينبه علىٰ أنَّه جمع الصفتين لأنَّ قوله: «مثل السيف» يحتمل أن يريد به السائل الطول واللمعان، فرده المسؤول ردًا بليغًا، ولما جرىٰ التعارف في أنَّ التشبيه بالشمس إنَّما يراد به غالبًا الإشراق، والتشبيه بالقمر إنَّما يراد به الملاحة دون غيرها أتىٰ بقوله «وكان مستديرًا» إشارة إلىٰ أنَّه أراد التشبيه بالصفتين معًا: الحسن والاستدارة».

وسئل جابر بن سمرة رضي الله عنه: «أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِثْلُ السَّيْفِ؟ قَالَ: لَا، بَلْ كَانَ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ».

وقال رضي الله عنه: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَىٰ القَمَرِ قَالَ: فَلَهُوَ كَانَ أَحْسَنَ فِي عَيْنِي مِنَ القَمَرِ».

وقوله: إضحيان معناه مضيئة وهي التي لا يغيب فيها القمر ولا يستره غيم .

وقال أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسرقلتُ للربيع بنت معوذ ابن عفراء: «صِفِي لَنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّ لَوْ رَأَيْتَهُ، رَأَيْتَ الشَّمْسَ طَالِعَةً».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ».

وقال هند بن أبي هالة: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخْمًا مُفَخَّمًا. يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ».

وقالت أم معبد: «رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الوَضَاءَةِ، أَبْلَجَ الوَجْهِ، وَسِيمًا قَسِيمًا».

والوَسَامة: هي الحُسْنُ الوضيءُ الثابت في الحُسن.

والقَسَامة: هي الحُسن، ورجل مُقسَّم الوجه: أي جميلٌ كله، كأَنَّ كل موضِعٍ منه أخذَ قِسمًا من الجمال.

وقال علي رضي الله عنه: «وَلَمْ يَكُنْ ﷺ بِالمُطَهَّمِ وَلَا بِالمُكَلْثَمِ، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ. أَبْيَض مُشْرَبٌ».

والمُطَهَّمُ: البَادِنُ الكَثِيرُ اللَّحْمِ.

والمُكَلْثَمُ: المُدَوَّرُ الوَجْهِ.

والمُشَرَّبُ: الَّذِي فِي بَيَاضِهِ حُمْرَةٌ.

وقال يزيد الفارسي: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي النَّوْمِ زَمَنَ ابْنِ عَبَّاسٍ عَلَىٰ البَصْرَةِ قَالَ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي فَمَنْ رَآنِي فِي النَّوْمِ فَقَدْ رَآنِي»، فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي قَدْ رَأَيْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ أَنْعَتُ لَكَ رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، جِسْمُهُ وَلَحْمُهُ أَسْمَرُ إِلَىٰ البَيَاضِ حَسَنُ المَضْحَكِ أَكْحَلُ

العَيْنَيْنِ جَمِيلُ دَوَائِرِ الوَجْهِ ...فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَوْ رَأَيْتَهُ فِي اليَقَظَةِ مَا اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْعَتَهُ فَوْقَ هَذَا».

**فتلخص في وصف وجهه الشريف ﷺ ما يلي:**

**الأول:** أنَّه كان مثل السيف في اللمعان.

**الثاني:** ومثل الشمس في قوة النور والبهاء.

**الثالث:** ومثل القمر في سكون النور وعدم توهجه.

**الرابع:** ومثل الشمس والقمر في التدوير.

وهذه التشبيهات الواردة في صفاته ﷺ إنما هي علىٰ عادة الشعراء والعرب، وإلا فلا شيء من هذه المحدثات يعادل صفاته ﷺ.

ويرحم الله تعالىٰ القائل حيث قال:

كالبدر والكاف إن أنصفت زائدة ... فــلا تظننهـــا كافًـــا لتشـــبيه

قال الصاحب الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «بينا أَنَا أَنْظُرُ إِلَىٰ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ المِنْبَرِ يَسْتَسْقِي، فَمَا يَنْزِلُ حَتَّىٰ يَجِيشَ كُلُّ مِيزَابٍ، فَأَذْكُرُ قَوْلَ الشَّاعِرِ وهو أبو طالبٍ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَىٰ الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ اليَتَامَىٰ عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

## صفة الجبين الشريف:

قال هند بن أبي هالة: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاسِعَ الجَبِينِ».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُفَاضَ الجَبِينِ».





والمفاض: الواسع.

وقال علي رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلْتَ الجَبِينِ».

أي: واسع وقيل: أملس، وقيل: بارز.

وقالت عائشة رضي الله عنها كان والله كما وصفه شاعره حسان بن ثابت:

| | |
|---|---|
| متىٰ يَبدُ في الدَّاجي البَهيم جبينُهُ | يَلُحْ مثلَ مصباحِ الدُّجىٰ المتوقِّدِ |
| فمن كانَ أو مَن قد يكونُ كأحمدٍ | نظامٌ لحقٍّ أو نكالٌ لِمُلحِدِ |

### صفة الحاجبين الشريفين:

قال هند بن أبي هالة: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزَجَّ الحَاجِبَيْنِ».

وقالت أم معبد: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَزَجَّ أَقْرَنُ».

والزَّجُّ تَقَوُّسُ الحاجبين مع طُولٍ في طرفه وامتداد.

وقال علي رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَغَرَّ أَبْلَجَ».

والصحيح مِنْ صفة حاجبيه ﷺ قول هند: «أَزَجَّ الحَوَاجِبِ. سَوَابِغَ فِي غَيْرِ قُرُنٍ».

والعرب تمدح البَلَج وتذم القَرَن، وهو اتصال شعر الحاجبين.

قال الإمام أبو عبيد: «ولم تسمع لهذه الكلمة في شيء مِنْ صفته ﷺ إلَّا في حديث أم معبد، إنَّما صفته في الحاجبين: البلج».

وقال العلامة ابن ناصر الدين الدمشقي: «وصفه ﷺ بالقرن في حاجبيه في حديث أم معبد غير معروف مِنْ صفته ﷺ».

### صفة العينين الشريفتين:

قال علي رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَدْعَجَ العَيْنَيْنِ».

والدعج: شدة سواد الحدقة.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ «أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ».

وفي رواية «أَبْرَجَ العَيْنَيْنِ».




والبَرَج: هو أنَّ يكون بياض العين مُحدِقًا بالسواد كُلِّه لا يغيب مِنْ سوادها شيء.

وقالت أم معبد: «أَحْوَرُ أَكْحَلُ».

قال أبو حاتم السجستاني: «العينُ الحَوْراءُ، الَّتِي اشتدَّ بياضُ بياضِها، وسوادُ سوادِها، واستدارت حَدَقتُها، ورقَّت أجفانُها، وابيضَّ مَا حوَالَيْها».

## صفة أشفاره ﷺ

قال علي رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ أَهْدَبَ الأَشْفَارِ».

وفي رواية: «هَدِبَ الأَشْفَارِ».

ومثله عن أبي أمامة، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

ومعنىٰ أهدب: طويل شعر الأجفان التي تلتقي عند التغميض.

وقالت أم مبعد: «وَفِي أَشْفَارِهِ وَطْفٌ».

والوطف: كثرة شعر الحاجبين والأشفار مع استرخاء وطول؛ لأنَّ في طول أهداب الجفن زينة ونفْع وحُسن.

### صفة الأنف المنيف:

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشَمَّ، أَقْنَىٰ».

والأشم: ارتفاع قصبة الأنف، وحسنها واستواء أعلاها.

والأقنىٰ: طويل الأنف مع رقة أرنبته مع حدب في وسط أنفه، والأرنبة طرف الأنف.

وقال هند بن أبي هالة: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْنَىٰ العِرْنَيْنِ».

والعرنين هو الأنف.

وقال علي رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَقْنَىٰ الأَنْفِ».

### صفة الخدين الشريفين:

قال هند بن أبي هالة: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَهْلَ الخَدَّيْنِ».

ومعنىٰ: سهل الخدين أي: ليس في خديه نتوء وارتفاع.

وفي لفظ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلْتَ الخَدَّيْنِ».

ومعنىٰ صلت الخدين: أي واسع الخدين.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبْيَضَ الخَدَّيْنِ».

وفي لفظ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسِيلَ الخَدَّيْنِ».

ومعنىٰ أسيل: أي: قليل اللحم رقيق الجلد.

### صفة الفم الشريف:

قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَلِيعَ الفَمِ».

ومثله عن هند ابن أبي هالة.

وقال علي ﵁: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَسَنَ الفَمِ».

ومثله عن أبي هريرة ﵁.

وقالت عائشة ﵂: «كَانَ أَحْسَنَ عِبَادِ اللهِ شَفَتَيْنِ، وَأَلطَفَهُ خَتْمَ فَمٍ».

ومعنىٰ ضليع الفم. أي: عظيم الفم، وقيل: واسع الفم، والعرب تمدح سعة الفم للرجال وتذمه للنساء، لأنَّه يدل علىٰ سعة لا تحمد.

وقالت عائشة ﵂: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْلَجَ الأَسْنَانِ أَشْنَبَهَا، وَكَانَ يَتَبَسَّمُ عَنْ مِثْلِ البَرَدِ المُنْحَدِرِ مِنْ مُتُونِ الغَمَامِ، فَإِذَا افْتَرَّ ضَاحِكًا افْتَرَّ عَنْ مِثْلِ سَنَاءِ البَرْقِ إِذَا تَلَأْلَأَ».

ومعنىٰ أفلج: أي: متباعد ما بين الثنايا والرباعيات خلقة، وليس المراد تباعد ما بينها وتفريقها كلها فهو مذموم، ليس مِنْ الحسن في شيء، وإنَّما يحسن بَيْنَ الثنايا، لتفصيله بَيْنَ ما ارتص مِنْ بقية الأسنان وتنفس المتكلم الفصيح منه.

ولهذا قال ابن عباس ﵄: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ، إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ».

وقولها: أشنب -بفتح الشين المعجمة والنون بعده موحدة- رقة الأسنان وماؤها ورونقها.

وجاء في وصفه ﷺ: «كان مُبْلِجَ الثَّنَايَا»

وفي لفظ: «بَرَّاقَ الثَّنَايَا».

«وأُتِيَ ﷺ بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، ثُمَّ مَجَّ فِي الدَّلْوِ، ثُمَّ صَبَّ فِي البِئْرِ أَوْ شَرِبَ مِنَ الدَّلْوِ، ثُمَّ مَجَّ فِي البِئْرِ، فَفَاحَ مِنْهَا مِثْلُ رِيحِ المِسْكِ».

وقال هند بن أبي هالة: «جُلُّ ضَحِكِهِ ﷺ التَّبَسُّمُ وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الغَمَامِ».

ومعنىٰ يفتر. أي: يضحك.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ضَحِكَ كَادَ يَتَلَألأُ فِي الجُدُرِ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ﷺ».

وقوله: الجُدُر. جمع جدار، وهو الحائط، أي: يُشْرِقُ نوره ﷺ عليها إشراقًا كإشراق الشمس عليها.

## صفة اللحية الشريفة:

قال جابر بن سمرة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَةِ».

وقال علي رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَظِيمَ اللِّحْيَةِ».

وفي لفظ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَسَنَ اللِّحْيَةِ».

وقال البراء رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَثَّ اللِّحْيَةِ».

وقالت أم معبد: «وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ».

ومعنىٰ كثَّة. أي كثيرة أصول الشعر، وليست رقيقة طويلة، فإنَّ ذلك نقص في الجمال.

## صفة عنق رسول الله ﷺ:

قال علي رضي الله عنه: «كَأَنَّ عُنُقَهُ ﷺ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ، كَأَنَّ الذَّهَبَ يَجْرِي فِيٰ تَرَاقِيهِ».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ عِبَادِ اللهِ عُنُقًا، لَا يُنْسَبُ إِلَىٰ الطُّوَلِ وَلَا إِلَىٰ القِصَرِ، مَا ظَهَرَ مِنْ عُنُقِهِ لِلشَّمْسِ وَالرِّيَاحِ فَكَأَنَّهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ مُشْرَبٌ ذَهَبًا يَتَلَأْلَأُ فِي بَيَاضِ الفِضَّةِ وَحُمْرَةِ الذَّهَبِ، وَمَا غَيَّبَتْهُ الثِّيَابُ مِنْ عُنُقِهِ وَمَا تَحْتَهَا فَكَأَنَّهُ القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْرِ».

وقالت أم معبد: «وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ».

والعنق السطعاء هي التي طالت وانتصبت.. صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

## صفة منكبه الشريف ﷺ:

قال البراء رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ».

ومثله عن علي وأبي هريرة.

وقال أبو أمامة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَخْمَ المَنَاكِبِ».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا وَضَعَ رِدَاءَهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَكَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَظِيمَ المَنْكِبَيْنِ أَشْعَرَهُمَا، ضَخْمَ الكَرَادِيسِ، وَكَانَ جَلِيلَ الكَتَدِ».

والكراديس هي عظام المنكبين والمرفقين، والوركين، والركبتين.

والكتد: مجمع الكتفين والظهر.

وقال علي رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَلِيلَ المُشَاشِ».

والمشاش: عِظَامُ رُءُوسِ المَفَاصِلِ.

## صفة الصدر الشريف

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَوَاءَ البَطْنِ وَالصَّدْرِ عَرِيضَ الصَّدْرِ».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَرِيضَ الصَّدْرِ مَمْسُوحَهُ كَأَنَّهُ المَرَايَا فِي شِدَّتِهَا وَاسْتِوَائِهَا، لَا يَعْدُو بَعْضُ لَحْمِهِ بَعْضًا، عَلَىٰ بَيَاضِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ. مَوْصُولَ مَا بَيْنَ لَبَّتِهِ إِلَىٰ سُرَّتِهِ شَعَرٌ مُنْقَادٌ كَالقَضِيبِ. لَمْ يَكُنْ فِي صَدْرِهِ وَلَا بَطْنِهِ شَعَرٌ غَيْرُهُ».

وقال أبو أمامة رضي الله عنه : «كَانَ النبي ﷺ أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالصَّدْرِ».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَثْنَ القَدَمَيْنِ وَالكَفَّيْنِ، ضَخْمَ السَّاقَيْنِ، عَظِيمَ السَّاعِدَيْنِ، ضَخْمَ المَنْكِبَيْنِ، بَعِيدَ مَا بَيْنَ المَنْكِبَيْنِ، رَحْبَ الصَّدْرِ، رَجِلَ الرَّأْسِ، أَهْدَبَ العَيْنَيْنِ، حَسَنَ الفَمِ، حَسَنَ اللِّحْيَةِ، تَامَّ الأُذُنَيْنِ، رَبْعَةً مِنَ القَوْمِ، لَا طَوِيلًا وَلَا قَصِيرًا، أَحْسَنَ النَّاسِ لَوْنًا، يُقْبِلُ مَعًا وَيُدْبِرُ مَعًا لَمْ أَرَ مِثْلَهُ، وَلَمْ أَسْمَعْ بِمِثْلِهِ».

**صفة الظهر الشريف:**

قال الكعبي رضي الله عنه : «اعْتَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الجِعْرَانَةِ لَيْلًا، فَنَظَرْتُ إِلَىٰ ظَهْرِهِ كَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ».

وقالت عائشة رضي الله عنها : «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاسِعَ الظَّهْرِ، وَكَانَ طَوِيلَ مَسْرُبَةِ الظَّهْرِ».

والمَسْرُبة هي: الفَقَار الذي في الظهر مِنْ أعلاه إلىٰ أسفله.

## صفة البطن الشريفة:

قال هند بن أبي هالة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَوَاءَ البَطْنِ وَالصَّدْرِ عَرِيضَ الصَّدْرِ».

وقالت أم معبد: «لَمْ تَعِبْهُ ثُجْلَةٌ».

والثُّجْلة هي: كِبرَ البطن.

وقالت أم هانئ رضي الله عنها: «مَا رَأَيْتُ بَطْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَطُّ إِلا ذَكَرْتُ القَرَاطِيسَ المَثْنِيَّةَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ».

وقال أبو هريرة رضي الله عنه «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُفَاضَ البَطْنِ».

أي: مستوي البطن مع الصدر.

## صفة ذراعي رسول الله ﷺ:

قال أبو هريرة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَبْحَ الذِّرَاعَيْنِ».

أي: طويلهما وقيل: عريضهما.

وقال هند بن أبي هالة: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ وَالمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ، رَحْبَ الرَّاحَةِ، سَبَطَ القَصَبِ».

والسبط الممتد الذي ليس فيه تعقد ولا نتوء.

وسبط القصب: طويل عظام الساعدين والساقين.

وقال أبو أمامة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَشْعَرَ الذِّرَاعَيْنِ».

وقالت عائشة رضي الله عنها : «كَانَ عَبْلَ العَضُدَيْنِ وَالذِّرَاعَيْنِ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ».

ومعنىٰ عبل أي: ضخم العضدين. والعضد: ما بين المرفق إلىٰ الكتف.

والزندان هما: العظمان اللذان في ظاهر الساعدين.

**صفة كفّي رسول الله ﷺ:**

قال هند بن أبي هند رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَحْبَ الرَّاحَةِ، شَثْنَ الكَفَّيْنِ».

والشثن: هو الذي في أنامله غِلَظٌ بلا قِصر، وذلك محمود في الرجال؛ لأنه أشد وأمكن للقبظ.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَثْنَ الكَفِّ، رَحْبَ الرَّاحَةِ، سَائِلَ الأَطْرَافِ، كَأَنَّ أَصَابِعَهُ قُضْبَانُ فِضَّةٍ، كَفُّهُ أَلْيَنُ مِنَ الخَزِّ، وَكَأَنَّ كَفَّهُ كَفُّ عَطَّارٍ طِيبًا، مَسَّهَا بِطِيبٍ أَوْ لَمْ يَمَسَّهَا».

وقال أنس رضي الله عنه : «مَا مَسِستُ حَرِيرًا وَلَا دِيبَاجًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ ﷺ».

وقال أبو جحيفة رضي الله عنه: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالهَاجِرَةِ إِلَىٰ البَطْحَاءِ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّىٰ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ وَالعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَيْنَ يَدَيْهِ عَنَزَةٌ، وَنَهَضَ النَّاسُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَنَهَضْتُ مَعَهُمْ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ أَشَبُّ الرِّجَالِ وَأَجْلَدُهُ، فَمَا زِلْتُ أَزْحَمُ النَّاسَ حَتَّىٰ وَصَلْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَوَضَعْتُهَا عَلَىٰ وَجْهِي، فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ المِسْكِ».

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه: «صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الأُولَىٰ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، فَاسْتَقْبَلَهُ وِلْدَانٌ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ خَدَّيْ أَحَدِهِمْ وَاحِدًا وَاحِدًا، قَالَ: وَأَمَّا أَنَا فَمَسَحَ خَدِّي، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ».

وقال شداد بن أوس ﵁: «أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ، فَإِذَا هِيَ أَلْيَنُ مِنَ الحَرِيرِ ، وَأَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ».

### صفة أصابع رسول الله ﷺ:

قال هند ﵁: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَائِلَ الأَطْرَافِ».

يعني: أنَّ أصابعه ﷺ ممتدة طوال غير متعقدة ولا متثنية.

وقالت عائشة ﵂: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَائِلَ الأَطْرَافِ ، كَأَنَّ أَصَابِعَهُ قُضْبَانُ الفِضَّةِ».

وقضبان الفضة: أغصانُها.

### صفة ساقَي رسول الله ﷺ:

قال جابر بن سمرة ﵁: «كَانَ فِي سَاقَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حُمُوشَةٌ».

أي: كان فيهما دقة بطول.

وقال أبو هريرة ﵁ : «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَخْمَ السَّاقَيْنِ».

### صفة قدَمَي رسول الله ﷺ:

وقال أبو هريرة ﵁: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ضَخْمَ الكَفَّيْنِ، ضَخْمَ القَدَمَيْنِ».

ومثله عن أنس ﵁.

وقال هند بن أبي هالة ﵁: «كان رسول الله ﷺ شَثْنَ الكَفَّيْنِ وَالقَدَمَيْنِ، سَائِلَ الأَطْرَافِ، خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ، مَسِيحَ القَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا المَاءُ».

ومعنىٰ خمصان الأخمصين: شديد تجافيهما عن الأرض من وسطهما.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا وَطِئَ بِقَدَمِهِ وَطِئَ بِكُلِّهَا، لَيْسَ لَهَا أَخْمَصٌ».

ويؤيده قوله في حديث هند: «مَسِيحَ القَدَمَيْنِ».

ولذلك قيل في تسمية المسيح عليه السلام بذلك؛ لأنَّه لم يكن له أخمَص، فكأنَّ هندًا قال: ذاهب الأخمصين.

وحديث أبي هريرة أصح من حديث هند.

وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه : «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَنْهُوسَ العَقِبَيْنِ».

ومنهوس -بسين مهملة، وفي رواية: معجمة: منهوش. والمعنىٰ واحد، أي: قليل لحم القدمين.

## من عِبَر هذا العَرْض

يا معشر الإخوة: إنَّ من بركات هذا العرض لوصف الأعضاء الشريفة ما يلي:

**الأول**: زيادة المعرفة بخصال الجمال وصفات الكمال لتزيد المحبة والتعظيم والإجلال الموصلة إلىٰ تحقيق كمال الطاعة والاتباع والتأسي والاقتداء، والله الموفِّق والمستعان.

**الثاني**: زيادة الشوق إلىٰ لقائه ﷺ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رسول الله ﷺ قال: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ».

**الثالث**: إظهار أنه ﷺ بشر، وبطلان الغلو فيه.

**الرابع**: أداء بعض الحق له ﷺ .



**الخامس**: تحقق رؤيته ﷺ في المنام؛ فإن من تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب انطبعت في نفسه صفته ﷺ، فإذا رآه جزم برؤيته مثاله ﷺ كما يجزم به من رآه فيتنفي عنه اللَّبس والشك في رؤيته ﷺ.

ورؤيا رسول الله ﷺ في المنام لا يؤخذ منها أحكام لِمَا قد تتقرر في شريعة الإسلام، وهذا بقين الإجماع والباب مبسوط في «الإمتاع بما تعلق برسول الله ﷺ من إجماع».

وذكر الحافظ ابن كثير أنَّ السلطان طُغْرُلْبَك رأىٰ رسولَ الله ﷺ في المنام فسلم عليه فأعرض عنه، فقال: يا رسول الله لأي شيء تعرض عني؟ فقال: «يُحَكِّمُكَ اللهُ فِي البِلَادِ، ثُمَّ لَا تَرْفُقُ بِخَلْقِهِ وَلَا تَخَافُ مِنْ جَلَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ؟!»، فاستيقظ مذعورًا، وأمر وزيره أن ينادي في الجيش بالعدل، وأنْ لا يَظْلِمَ أَحَدٌ أَحَدًا».

وفي الختام أتمثل بما صح معناه:

يا خَيْرَ مَن دُفِنَتْ بِالقَاعِ أعْظُمُهُ ... فطابَ مِنْ طِيبِهِنَّ القَاعُ والأَكَمُ
نَفْسِي الفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فيه العَفافُ وفيه الجُودُ والكَرَمُ

اللهم صَلِّ وسلِّم وبارك ومجد وعظم عبدك ورسولك، ملء الأرض والسماء وما بينهما، أبد الآبدين إلىٰ يوم الدين.

اللهم ارزقنا لذة النظر إلىٰ وجهك الكريم، ومرافقة نبيك العظيم إنك أنت الكريم الوهاب.

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

## المجلس الثالث: شذرات ندية من عبق الهجرة النبوية

الحمدُ لله المتفرِّد بالأسماء الحسنىٰ، والصفات العليا وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وأسبغ علىٰ أوليائه نعمًا عَمَّا، وبعث فيهم رسولًا من أنفسهم عُرْبًا وعُجْمًا، وأزكاهم مَحْتِدًا وَمَنْمًىٰ، وأرجحهم عقلًا وحلمًا، وأوفرهم علمًا وفهمًا، وأقواهم يقينًا وعزمًا، وأشدهم بِهم رأفةً ورُحْما، زَكَّاه روحًا وجسمًا، وحاشاه عيبًا ووصمًا، وآتاه حكمةً وحُكْمًا، وفتح به أعينًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، وآذانًا صمًا. فآمن به وعزره ونصره مَنْ جعل الله له في مغنم السعادة قِسْمًا، وكذَّب به وصَدَفَ عن آياته مَنْ كتب الله عليه الشقاء حتمًا، ومَنْ كان في هذه أعمىٰ فهو في الآخرة أعمىٰ، صلىٰ الله عليه وسلم صلاةً تَنْمُو وَتُنْمَىٰ، وعلىٰ آله وسلم تسليمًا كثيرًا.

**أما بعد:** فإنَّ الهجرة النبوية هي أعظم هجرة عرفها التاريخ، تغير بِها وجه العالم، واستدارت فيها عجلة الدنيا، وبَزَغَ فيها فجر الكون الجديد.

«هاجر ﷺ مِنْ بلده، فكان ذلك أوَّلَ خُطا الحقيقة، التي أعلنت أنَّها ستمشي في الدنيا، وقد أخذتْ مِنْ يومئذٍ تَمشي، فكانت خطواته ﷺ في هجرته تخط في الأرض، ومعانيها تخط في التاريخ؛ وكانت المسافة بَيْنَ مكة والمدينة، ومعناها بَيْنَ المشرق والمغرب».

فهذه الذكرىٰ العظيمة المحبوبة التي نقف عندها في كل رأس عام هجري كما يقف المُصْحِر في واحة مخضَرّة ظليلة، نَنْشُقُ منها عَبير المجد ونتسمَّع أغاريد النصر، ونجتلي في طلعتها طيف الأيام الباسمة التي كان مِنْ قُطوفها ألف معركة ظافرة حملت غارَها الرايةُ الإسلامية، وألف مدرسة وألف مكتبة نالت فخارَها

وجنت ثمارَها البلادُ الإسلامية، وكان مِنْ حصادها هذه الحضارة التي نَعِمَتْ في أفيائها الإنسانية، مصداقًا لقول الحق: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧].

يا معشر الإخوة: إن سبب الهجرة الأكبر هو الفرار بدين الله مِنْ أعداء الله الصادين المكذبين، الذين ما فتئوا يفتنون المؤمنين والمؤمنات عن دينهم، منذ صدع رسول الله ﷺ بالدعوة إلىٰ الإسلام جهرًا، بعد نزول قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴾ [سورة الشعراء:٢١٤].

فقام ﷺ بأمر الله تعالىٰ له في قوله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ﴾ [سورة الحجر:٩٤-٩٥].

وكان هذا الجهر في بَدْء العام الرابع مِنْ بعثته ﷺ بالحجة واتفاق أهل السيرة.

حينئذ جهرت قريش بالعداوة والبغضاء، وتطاولت بأقوالها وأفعالها فعذبوا أهل الإيمان؛ ليردوهم بعد إيمانِهم كافرين، وما عابوا عليهم مِنْ خُلق ولا سجية وما نَقموا منهم إلَّا أنْ يؤمنوا بالله العزيز الحميد.

فلمَّا ضاقت بأهل الإيمان مكة بأرجائها وفِجاجها أشار عليهم رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالحَقُوا بِبِلَادِهِ، حَتَّىٰ يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ».

فخرج مِنْ مكة اثنا عشر رجلًا وأربع نسوة مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ فرارًا بدينهم مِنْ أذية الكافرين وعدوانِهم، وكان خروجهم رضي الله عنهم في شهر رجب مِنَ السَّنَةِ الخامسة للبعثة، صح بِهذا الأثر وعليه الأكثر.

وفي شهر شوال بلغهم خبر بإسلام قريش فعادوا باتجاه مكة، فمنهم مَنْ دخلها ومنهم لم يدخلها، ثم تبين لهم أنْ الخبر كذب، وهذه هي الهجرة الأولىٰ إلىٰ الحبشة.

ثم هاجر بعض من رجع وغيرهم فبلغ عدد الرجال ثلاثة وثمانين رجلًا، والنساء ثمانيَ عَشْرة سُوىٰ أبنائهم رضي الله عنهم وهذه هي الهجرة الثانية إلىٰ الحبشة، صح بِها الأثر واتفق عليها مَنْ غبر.

ونزل هؤلاء الصحب الكرام رضي الله عنهم في بلاد الحبشة في الجزء المسمىٰ (أرتيريا).

أمَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد مكث في مكة يدعو إلىٰ الله صابرًا علىٰ الأذية القولية، وأيده الله بعمه أبي طالب، فقد كان حصنًا قويًّا، وسدًّا منيعًا علىٰ قريش، الذي قال وصدق في قوله:

وَاللهِ لَـنْ يَصِـلُوا إِلَيْـكَ بِجَمْعِهِـمْ ... حَتَّـىٰ أُوَسَّـدَ فِـي التُّـرَابِ دَفِينَـا
فَاصْـدَعْ بِـأَمْرِكَ مَـا عَلَيْـكَ غَضَاضَـةٌ ... وَأَبْشِـرْ بِـذَاكَ وَقَـرَّ مِنْـكَ عُيُونَـا

وقال أبو طالب أيضًا:

حَـدِبْتُ بِنَفْسِـي دُونَـهُ وَحَمَيْتُـهُ ... وَدَافَعْـتُ عَنْـهُ بِالـذُّرَا وَالكَلَاكِـلِ
كَـذَبْتُمْ وَبَيْـتِ اللهِ نُبْـزَىٰ مُحَمَّـدًا ... وَلَمَّـا نُطَـاعِنْ دُونَـهُ وَنُنَاضِـلِ
وَنُسْـلِمُهُ حَتَّـىٰ نُصَـرَّعَ حَوْلَـهُ ... وَنَـذْهَلَ عَـنْ أَبْنَائِنَـا وَالحَلَائِـلِ

وقوله: نبزىٰ مُحَمَّدًا: أَي نُسْلَبَه ونُغْلَب عَلَيْهِ. وفي رواية: يبزىٰ مُحَمَّد أي: يقهر ويغلب، أَرَادَ «لَا يبزىٰ» فَحذف «لَا» من جَوَاب القسم.

ولهذا قال ﷺ «مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَاعَّةً حَتَّىٰ تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ».

وفي لفظٍ: «ما نالتْ مِنّي قريشٌ شيئًا أَكْرهُه حتّىٰ ماتَ أبو طالبٍ».

وفي لفظٍ: «مَا زَالَتْ قُرَيْشٌ كَافَّةً عَنِّي حَتَّىٰ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ».

فبعد وفاة أبي طالب ضاقت برسولنا ﷺ مكة بفجاجها وأرجائها، فولَّىٰ وجهه شطر مدينة الطائف، وعَرَضَ علىٰ ثلاثة مِنْ زعمائها إعانته في نشر رسالة الله الخالدة، فكبا بِهم اللؤم وعقرهم الخِذلان، فحُرِموا بركة نصرة رسول رب العالمين ﷺ، بل تطاولت بِهم الحماقة فسلطوا عليه سفهاءهم، فأسالوا دمه الطاهر علىٰ تراب الطائف!

«وفي هذه الغمرة مِنْ الأسىٰ والحزن، والآلام النفسية والجسمية توجه الرسول ﷺ إلىٰ ربه بِهذا الدعاء الذي يفيض إيمانًا ويقينًا، ورضًىٰ بما ناله في الله، واسترضاء لله، والذي لم أقف علىٰ مثيل له فيما قرأت»، ألَا هو دعاء الطائف المشهور الذي تَفِيضُ عليه أنوار النبوة قال ﷺ:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقِلَّة حيلتي وهواني علىٰ الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلىٰ من تَكِلُني؟ إلىٰ بعيد يتجهَّمني؟ أو إلىٰ عدو ملَّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، غيرَ أنَّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلماتُ وصَلَح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك، أو ينزلَ بي سخطُك؛ لك العُتْبىٰ حتىٰ ترضىٰ، ولا حول ولا قوة إلا بك». «فكان مطلوبه ﷺ رضا ربه تعالىٰ، وبه كانت تهون عليه الشدائد».

ورحم الله الحافظ السُّهيلي حين قال:

يا من يَرىٰ ما في الضمير ويسمَعُ ... أنت المُعَدُّ لكل ما يتُوقَّعُ

يا من يُرجَّىٰ للشدائِد كلِّها ... يا مَن إليه المُشتكَىٰ والمَفزَعُ

يا من خزائنُ رِزْقه في قولِ كُن ... امنُنْ فإن الخيرَ عندك اجمع

ما لي سِوَىٰ فقرِي إليك وسيلةٌ ... فبالافتقارِ إليك فَقْرِي أدفع

ما لي سوىٰ قَرْعِي لبابِك حِيلةٌ ... فلئنْ رَدَدْتَ فأيَّ بابِ أقرع

ومَن الذي أدعُو وأهْتِف باسمه ... إن كان فَضْلُكَ عن فقيرٍ يُمنع

حاشا لمجِدك أن تُقنِّط عاصيًا ... الفَضْلُ أجزلُ والمَواهبُ أوسع

ثم دخل رسول الله ﷺ مكة في جوار المُطعِم بن عدي أحد زعماء قريش.

ثم تتابعت الأذية مِنْ قريش حتىٰ كان آخرها المؤتمر المشؤم في دار الندوة؛ ملتقىٰ أئمة الكفر الصادين المكذبين.

واعترضهم إبليس في صورة شيخ نجدي عليه كساء غليظ، فلمَّا رأوه واقفًا علىٰ الباب قالوا: مَن الشيخ؟ قال: شيخ مِنْ أهل نجد سمع بمجلسكم هذا فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسىٰ ألَّا يُعْدِمَكُمْ منه رأيًا ونصحًا، قالوا: أجل، فادخل، فدخل معهم.

يا للعجب! أبو مرة ينصح! اللعين يعظ! الخبيث! يشير بالرشد!

فتشاوروا، فقال قائل منهم: احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابًا، ثم تربَّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله، حتىٰ يأتيه الموت.

فقال الشيخ النجدي: لا، والله ما هذا لكم برأي، والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنَّ أمره مِنْ وراء الباب إلىٰ أصحابه، فلأوشكوا أنْ يثبوا عليكم





فينتزعوه مِنْ بين أيديكم، ثم يكاثروكم به حتىٰ يغلبوكم علىٰ أمركم، ما هذا لكم برأي فانظروا غيره.

فتشاوروا، ثم قال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فننفيه مِنْ بلادنا، فإذا خرج عنا، فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع إذا غاب عنا وفرغنا منه، فأصلحنا أمرنا وَأُلْفَتَنَا كما كانت.

فقال الشيخ النجدي: ما هذا لكم برأي، ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته علىٰ قلوب الرجال بما يأتي به، فو الله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يَحلَّ علىٰ حَيٍّ مِنَ العرب فيغلب عليهم بذلك مِنْ قوله وحديثه حتىٰ يتابعوه عليه، ثم يسير بِهم إليكم حتىٰ يطأكم بِهم، فيأخذ أمركم مِنْ أيديكم، ثم يفعل بكم ما أراد، أديروا فيه رأيًا غير هذا!

فقال أبو جهل ابن هشام: والله إنَّ لي فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد، قالوا: ما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرىٰ أنْ نأخذ مِنْ كُلِّ قبيلة فتىٰ شابًّا جليدًا، نسيبًا وسيطًا فينا، ثم نعطي كل فتىٰ منهم سيفًا صارمًا، ثم يعمدوا إليه، فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه، فإنَّهم إنْ فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعها، فلم يقدر بنو عبد مناف علىٰ حرب قومهم جميعًا، فرضُوا منا بالدية، فوديناه.

فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل، هذا الرأي ولا رأي غيره، فتفرق القوم وهم مجمعون علىٰ هذا.

نعم لقد أقر شيطان الجن أبو مرة رأي شيطان الإنس أبي جهل علىٰ رأيه الخاسر، وصدق الله في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [سورة الأنعام:١٢١].

وإنَّما تشبه الشيطان بشيخ نجدي؛ لأنَّ أهل تِهامة الحجاز كانوا يميلون إلىٰ رسول الله ﷺ فلو تشبه بأحدهم لشكَّت قريش في صدقه.

وقد كشف الله لنبيه ﷺ عن ذلك المؤتمر الخبيث، فنزل جبريل الأمين بقول رب العالمين: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:٣٠].

وأذن الله تعالىٰ لنبيه ﷺ بالهجرة، فذهب ﷺ إلىٰ بيت أبي بكر رضي الله عنه وطلب منه إخلاء البيت ليخصه بالسر، فقال: «إِنَّ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ أَذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصُّحْبَةَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: الصُّحْبَةَ- قَالَتْ عائشة: فَوَاللهِ مَا شَعَرْتُ قَطُّ قَبْلَ ذَلِكَ اليَوْمِ أَنَّ أَحَدًا يَبْكِي مِنْ الفَرَحِ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ يَبْكِي يَوْمِئِذٍ- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: نَعَمْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ إِحْدَىٰ رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: بِالثَّمَنِ قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ الجِهَازِ».

«وإنما اشترط ﷺ دفع ثمن الراحلة لتكون هجرته إلىٰ الله بنفسه وماله، رغبة منه ﷺ في استكمال فضل الهجرة والجهاد علىٰ أتم أحوالهما، وإلَّا فقد كان ﷺ يأخذ مِنْ أبي بكر بيده، وقال: «مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلَا أَبَا بَكْرٍ؛ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ».

ثم خرج ﷺ يوم الخميس لثلاث بقِين مِنْ شهر صفر ليلة الجمعة ورسول الله ﷺ حينها في الثالثة والخمسين من عمره، وسلك طريقًا غير معهودة، فبدلًا من أن يسير نحو الشَّمال ذهب إلىٰ الجنوب إلىٰ (غار ثور).

ولو أنَّك أردتَ أن تصعد إلىٰ ذلك الغار وأنتَ في شرخ الشباب لأخذت وقتًا، ولحفيت أقدامك مِنَ الصخور، فما ظنك بصعودٍ في الليل، وطلبًا للنجاة من عدو حاقد ماكر؟! فلله ما لقي خاتم الأنبياء في تلك الليلة !!

وفي الطريق إلىٰ غار ثور وقف ﷺ علىٰ ظهر ناقته بمحلَّة الحَزْورة وهي ما يعرف اليوم باسم القشاشية، مرتفع يقابل المسعىٰ مِنْ مطلع الشمس، كان ولا يزال سوقًا مِنْ أسواق مكة المكرمة.

وقف ﷺ هناك وتذكر أيام الصبا ومرتع الشباب ومرتع الأيام!

تذكر الكعبة والمقام، وتذكر مسقط الرأس وذكرىٰ الأيام الخالية مع أُمِّه وجَدِّه، وعمِّه وعشيرته، ثم نَطَقَ بكلمات تتندىٰ لها الخدود فقال: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْرُجَ مِنْكِ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكِ أَحَبُّ البِلَادِ إِلَىٰ اللهِ، وَأَكْرَمُهَا عَلَىٰ اللهِ، وَلَوْلَا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا خَرَجْتُ».

ومكث رسول الله ﷺ في الغار ثلاثة أيام مِنْ ليلة الجمعة إلىٰ ليلة الاثنين بعده، حتىٰ تسكن عيون قريش وجواسيسها؛ لأنَّها قد أعدت مئة مِنَ الإبل لِمَنْ يأتيها بخبره ﷺ.

وفي شأن هذا المكث الشريف في الغار قول الله تعالىٰ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ

لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:٤٠].

انظروا يا معشر الإخوة: كيف قال: (لا تحزن)، ولم يقل: (لا تخف؟!) لأنَّ حزنه ﵁ علىٰ رسول الله ﷺ شغله عن خوفه علىٰ نفسه، ولأنَّه أيضًا رأىٰ ما نزل برسول الله ﷺ مِنَ النَّصَبِ، وكونه في ضيق الغار مع فرقة الأهل، ووحشة الغربة، وكان أرق الناس علىٰ رسول الله ﷺ، وأشفقهم عليه، فحزن لذلك، فرضي الله عنه أرضاه.

وكان يبيتُ عندهما عبد الله بن أبي بكر وهو غلام شاب، ثقف لقن، فيدلج مِنْ عندهما بسحر، فيصبح مع قريش بمكة كبائت، فلا يسمع أمرًا يُكادان به إلَّا وعاه، حتىٰ يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام.

والثقف: الحاذق الفطن، واللقن: سريع الفهم.

وكانت أسماء جهزتْهما بالطعام، فلم تجد ما تربط به وعاء زاد رسول الله ﷺ إلَّا نطاقها فشقته اثنين، تمنطقت بواحد وربط وعاء الزاد بالآخر.

والمنطقة: بكسر الميم، وفتح الطاء، وهي ما يشد به الإنسان علىٰ وسطه، وجمعها «مَنَاطِقْ»، و«نُطُق».

والتمنطق كان معروفًا عند العرب بأسماء مختلفة، وهيئات متنوعة، وتتابع عليها التفنن في صنعتها وتزيينها بالذهب أو الفضة، بما هو مذكور في التاريخ،




ومنها الجنبيَّة اليمانية، التي يلبسها اليماني علىٰ جنبه الأيمن، جامعةً بين التَّمَنْطُقِ والتَّسَلُّح.

ولمَّا عَسْعَسَ ظلام ليلة الاثنين غرة ربيع الأول وهدأ الطلب من جواسيس قريش وسكن.. امتطىٰ ﷺ ظهر راحلته، وحاله عليه كما وصفه كعب بن زهير في أصدق بيت قالته العرب في المدح:

تَجْـرِي بِـهِ النَّاقَـةُ العَضْـباءُ مُعْتَجِـرًا بـالبُرْدِ كَالبَـدْرِ جَلَّـىٰ ليلـةَ الظُّلَـمِ

وفِــي عِطَافَيْــهِ أَوْ أَثْنَــاءِ بُرْدَتِــهِ مَـا يَعْلَـمُ اللهُ مِـنْ دِيـنٍ وَمِـنْ كَـرَمِ

ومعه في هجرته ﷺ الصديق رضي الله عنه وعامر بن فهيرة رضي الله عنه مولىٰ أبي بكر، ومعهم الماهر الخِرِّيت بالطريق عبد الله بن أُريقط الليثي.

أمَّا الصديق رضي الله عنه فمرَّة يسير أمام رسول الله ﷺ، ومرَّة يسير خلفه، ومرَّة عن يمينه، ومرَّة عن شماله!!

فسأله رسول الله ﷺ عن هذا، فقال: يا رسول الله أذكر الطَّلب فأمشي خلفك، وأذكر الرَّصد فأكون أمامك، وأذكر الكمائن فأكون عن يمنيك وعن شمالك! لا آمن عليك!

فقال له رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَوْ كَانَ شَيْءٌ أَحْبَبْتَ أَنْ يَكُونَ بِكَ دُونِي؟» قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، مَا كَانَتْ لِتَكُونَ مِنْ مُلِمَّةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِي دُونَكَ».

وهكذا مضىٰ الصديق رضي الله عنه بَيْنَ الخوف والحنان والفداء، فرضي الله عنه وأرضىٰ.

وغاير ﷺ الطريق فسلك الفجاج ورَقَىٰ القنن، بين التواء وانحدار، فطالت الطريق وحق لها أن تطول بركب خائف يسير ليلًا ويكمن نَهارًا، ووصل ﷺ المدينة نَهار يوم الاثنين الخامس عشر مِنْ شهر ربيعٍ الأول، صح بذلك الأثر وعليه الأكثر.

وتبعهم سراقة بن مالك؛ ليفوز بجائزة أئمة الكفر من قريش، وقد رصدوا مئة من الإبل لمن يأتيهم بخبر رسول الله ﷺ، فلما اقترب من ركب رسول الله ﷺ عثرت به فرسه، فقال أبو بكر: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا، والتفت نبي الله ﷺ فدعا عليه قائلًا: «اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ، اللَّهُمَّ اكْفِنَاهُ بِمَا شِئْتَ» قال سراقة: «حَتَّىٰ إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّىٰ بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلَامِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّىٰ جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي. فَقُلْتُ: يَا رسولِ الله، مُرْنِي بِمَا شِئْتَ، فقَالَ: «قِفْ مَكَانَكَ لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا».

وهكذا بدأ سراقة في أول النهار عينًا وعدوًّا، وانتهىٰ عونًا ونصيرًا، وقلوب العباد بيد العزيز الحكيم سبحانه وتعالىٰ.



«ولم يقف الأمر في قصة سراقة عند هذه الآية الظاهرة البيِّنة الدالة علىٰ حماية الله لنبيه وحفظه له، بل تعدَّاه إلىٰ نبوءة أخرىٰ ما كان يجول مصداقها بخلد إنسان قط إلَّا أن يكون نبيًّا يوحىٰ إليه من ربه، ذلك أنَّه لما همَّ سراقة بالرجوع التفت إليه النبي ﷺ وقال: «كَيْفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَىٰ؟» فقال سراقة متعجبًا: كسرىٰ بن هرمز!! قال: «نعم» .

فرجع سراقة وهو في حيرة من أمر هذه النبوءة، وتواردت علىٰ نفسه شتىٰ الهواجس والخواطر والخلجات النفسية: محمد بن عبد الله الذي خرج مستخفيًا مطاردًا من قومه يخشىٰ الطلب، ويخاف الرصد، ولا يكاد يأمن علىٰ نفسه من غوائل المشركين- يعدني سواري كسرىٰ إنه للأمر العجب!!

وقد أوفىٰ سراقة بما وعد، فجعل لا يلقىٰ أحدًا من الطلب إلَّا رده قائلًا: كفيتم هذا الوجه.

وتدور عجلة التاريخ مسرعة، ويأتي زمن الخليفة العبقري المُلْهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيفتح الله علىٰ المسلمين بلاد فارس ومنها المدائن، ويثلّ عرش كسرىٰ، ويؤتىٰ بالغنائم، وفيها سواري كسرىٰ، ويتذكر عمر والمسلمون نبوءة رسول الله ﷺ، ومقالته لسراقة، فأتىٰ به، وألبسه سواري كسرىٰ، فقال سراقة: «الله أكبر، سوارا كسرىٰ بن هرمز، في يدي سراقة بن جعشم، أعرابي من بني مدلج اللهم إني أعوذ بك أن تكون إنما أعطيتني هذا لتمكر بي، وجعل يبكي».

وكان يومًا مشهودًا من أيام المدينة الخالدة، وهكذا صدق الله وعده، ونصر جند الإسلام المتقين، وجعل وراثة الأرض لعباده الصالحين.

وكان أول مكان مدني حط فيه رسول الله ﷺ رحله حينَ الهجرةِ الشريفةِ هو ديارُ بني عمرو بن عوف، وهم بطنٌ مِن الأوسِ، في عوالي المدينة، وهناك أَسَّسَ بناء المسجدِ المكرم: مسجد قُباءٍ، رابع مسجد في الإسلام مكانةً وفضيلةً.

فأقام رسول الله ﷺ فيهم أربعة أيام، الاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وخرج يوم الجمعة قاصدًا وسط المدينة.

فأدركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف في المسجد الذي ببطن الوادي، وهي أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ مطلقًا؛ لأنَّه لم يكن يتمكن في مكة مِنَ الاجتماع بأصحابه حتىٰ يقيموا بِها جمعة ذات خطبة وإعلان وموعظة؛ لشدة مخالفة المشركين له وإيذائهم إياه وأصحابه رضي الله عنهم.

ثم أتاه رجال مِنْ بني سالم بن عمرو بن عوف فقالوا: يا رسول الله أقم عندنا في العَدَدِ والعُدَّةِ والمَنَعةِ، ويتشبثون بزمام الناقة- ناقته القَصْواء-، فيقول لهم: «خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يَثنيها به، وكلَّما مَرَّ بدار مِنْ دُور الأنصار في الطريق عرضوا عليه أنْ ينزل عندهم في العَدد والعُدَّةِ والمَنعة، فيقول لهم مثل قولته الأولىٰ، حتىٰ وصلت الناقة إلىٰ موضع مسجده الشريف فبركت عنده، وألقت بجرانِها.

«وهكذا دخل سيد المرسلين ﷺ المدينة لا يرفرف علىٰ رأسه علم، ولا يمشي وراءه موكب، ولا يقرع له طبل، ولكن ترفرف علىٰ رأسه راية القرآن، وتمشي وراءه العصور القوادم، ويخفق له قلب التاريخ ما بقي في الدنيا تاريخ».



قالَ أنسٌ رضي الله عنه: «لمّا كانَ اليومَ الذي قَدِمَ فيه رسول الله ﷺ المدينةَ أَضاءَ منها كلُّ شيءٍ».

وقالَ أيضًا رضي الله عنه: «لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِينَةَ لَعِبَتِ الحَبَشَةُ لِقُدُومِهِ فَرَحًا بِذَلِكَ، لَعِبُوا بِحِرَابِهِمْ».

وقال البراء رضي الله عنه: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، حَتَّىٰ جَعَلَ الإِمَاءُ يَقُلْنَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

## مِنْ عِبَرِ هذا العَرْضِ:

يا معشر الإخوة: إنَّ سيرة رسول الله ﷺ حافلة بالعبر والدروس، نُصِبَتْ فيها معالمُ القُدوةِ، ورَسَتْ علىٰ مناكبِها أعلامُ الأُسوةِ؛ لِمَن شاءَ اللهُ هدايتَه، وأتمَّ له عنايتَه، مصداقًا لقول الله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

فلا ينبغي أنْ نجعل السيرة النبوية للتسلية أو التزجية فقط، فإنَّ هذا من الجفاء للقدوة الأعظم والأسوة الأكبر ﷺ ولما كان الأمر كذلك فَيَحْسُنُ بنا أنَّ نقف مع بعض العبر مِنْ عَبَقِ الهجرة النبوية الشريفة علىٰ صاحبها أفضل صلاة وأزكىٰ تحية:

**الدرس الأول:** أنَّ أرض الله واسعة، والعاقبة للمتقين، فحين ضاقت مكة اتسعت المدينة، وفي الله العِوض وحُسن الخَلف.

**الدرس الثاني:** أنَّ الدين أغلىٰ مِنَ الوطن، ولو كان الوطن أحب البقاع إلىٰ الله، فالخسارة خسارة الدين.

**الدرس الثالث**: التوكل علىٰ الله والأخذ بالأسباب: الكتمان، والتخفي، وتغيير الطريق، وغير ذلك.

**الدرس الرابع**: مَنْ كان الله معه فلن يخسر أحدًا ومن لم يكن معه لم ينفعه أحد، فاستأنس بالله فهو النعيم.

**الدرس الخامس**: السعي في تخليص الأعمال، طلبًا للإخلاص.

**الدرس السادس**: الرفيق قبل الطريق، فاختر رفيقًا يقربك إلىٰ الله ويخفف عنك عناء السفر.

**الدرس السابع**: الاستعانة بالخبراء في شأنِهم، ، فابن أريقط كان ماهرًا خِرِّيتًا في معرفة الطرق، ولم يُعلم أنَّه أسلم، ولكن كان في العرب مروءة ووفاء، وأمَّا اليوم فقد تسافل الناس، فالحذر الحذر مِنْ مكائد الكافرين.

**الدرس الثامن**: دور الشاب في خدمة الدين، عبد الله بن أبي بكر نموذجًا، فما هي جهودك أيها الشاب في خدمة الدين حفظًا أو دفاعًا.

**الدرس التاسع**: دور المرأة المسلمة في خدمة الدين، أسماء بنت أبي بكر ذات النطاقين نموذجًا، فيا أمة الله ما خدمتك لهذا الدين حفظًا أو عونًا.

**الدرس العاشر**: الاستعانة بالكتمان للنجاح، فكتم ﷺ خبر الهجرة إلَّا عن الصديق رضي الله عنه، وعَن الإمام الغالب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأبقاه ليرد الودائع، واضطجع علىٰ فراش رسول الله ﷺ، فكان الفداء لخاتم الأنبياء ﷺ، فرضي الله عن علي وأرضاه.

**الدرس الحادي عشر**: ترسيخ فضل الصديق رضي الله عنه وعلو مكانته في قلوب الناشئة والطلاب الصاعدة في معارج العلم ومراقي المعرفة؛ فالفضيلة التي كانت لأبي بكر في الهجرة لم تكن لغيره مِنَ الصحابة بالكتاب والسُّنَّةِ والإجماع، فإشارة القرآن إلىٰ صحبته في الغار وسام شرف خالد ما بقي الليل والنهار؛ فهي مِنَ الآيات البينات في صدور الذين أوتوا العلم، وما يجحد بآيات الله إلَّا الظالمون.

**الدرس الثاني عشر**: حيازة البيت البكري لمفاخر خالدة في الهجرة الشريفة، فأبو بكر رفيق الدرب، وأسماء وعائشة تصنعان الطعام، وعبد الله بن أبي بكر يتحسس أخبار قريش، وعامر بن فهيرة مولىٰ أبي بكر يرعىٰ لهما منيحة غنم، ويسقيهما اللبن إذا سجىٰ الليل، ويعفي علىٰ آثار عبد الله بن أبي بكر، فلا يتفطن أحدٌ إلىٰ مكان رسول الله ﷺ وصاحبه، وهكذا بذل أبو بكر نفسه، وولده وماله في سبيل الله والدفاع عن رسول الله ﷺ.

**الدرس الثالث عشر**: زرع الفأل والأمل في وقت الشدة والكربة، فنبينا العظيم ورسولنا الكريم ﷺ يبشر بظهور الدين وعلوه، وسقوط أعدائه، وأن بعد العسر يسرًا، وبعد الشدة فرجًا، وبعد القهر عزة وغلبة، وبعد الضعف قوة وسيادة، مصداقًا لقول العزيز الوهاب: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٤٠].

وفي الهجرة عِبرٌ تسكب العَبَرات، وتصاعد الزفرات علىٰ ما لاقاه خاتم الأنبياء ﷺ مِنْ قبلها وفي طريقها.

اللهم يا حي يا قيوم: أقبل بقلوبنا علىٰ سيرة نبينا ﷺ، وانفعنا بها، وأغننا بها عن السيرة المصطنعة، والبطولات المزيفة.

اللهم اجزه عنا خير ما جزيت نبيًّا عن أمته، ولا تخالف بنا عن سنته، واحشرنا في زمرته، واسقنا شربة من حوضه الشريف، إنك يا الله بكل جميل كفيل أنت حسبنا ونعم الوكيل.





## المجلس الرابع: الجهود النبوية في نشر التوحيد وحماية حماه

الحمد لله الذي شَرَّفنا بكلمة التوحيد، وكَرَّمنا بالاعتقاد السديد، وأيَّدنا باتباع كتابه وسنة نبيه أحسن تأييد، وحَبَّبَ إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكَرَّه إلينا طريقة كل جبار عنيد وشيطان مريد.

والصلاة والسلام علىٰ إمام الموحدين، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين، صلاة وسلامًا باقيين علىٰ التأبيد.

**أما بعد:** فإنَّ توحيد الله تعالىٰ هو أصل الأصول، وأساس الديانات، وزبدة الرسالات الربانية وقطب رحاها، وعمدتُها، وهو مُفْتَتَحُ الحياة وخاتمتها.

لذلك كان مفتتح دعوة أنبياء الله ورسله وخاتمتها، اتفقوا علىٰ نشره بأقوالهم وأفعالهم، واتفقوا علىٰ حماية حماه، وسَدِّ ذرائع تعطيله وإفساده وإضعافه.

وحسبنا في استنهاض هممنا وقدح زناد عزائمنا إلىٰ خدمة التوحيد نشرًا لأنواعه وسدًّا لذرائع إفساده.. حسبنا في ذلك وكفىٰ .. جهود نبينا الكريم ورسولنا العظيم ﷺ في نشر التوحيد وسد ذرائع إفساده وإضعافه، فقد ضرب لنا رسول الله ﷺ أعظم الأمثال، ونَصَبَ لنا معالم الاقتداء، وأعلام الائتساء، وقد قال ربنا ﷻ:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:٢١].

## معالم جهوده ﷺ في نشر التوحيد في مكة:

### الأول: الدعوة إلى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)

لَمَّا بلغ رسول الله ﷺ الأربعين مِنْ عُمره أشرقت عليه شمس الرسالة الخاتمة والنبوة العاقبة، ونبأه الله تعالىٰ بالخمس الآيات الكريمات في أول سورة العلق.

فبدأ ﷺ يدعو إلىٰ توحيد الله تعالىٰ بالعبادة وإفراده عن سائر الشركاء والأنداد، وكلَّما أَنِسَ مِنْ إنسانٍ قُبول الدعوة دعاه، واستمر ﷺ علىٰ الدعوة سرًّا ثلاث سنوات.

وفي بداية العام الرابع امتثل قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [سورة الشعراء:٢١٤].

وقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ﴾ [سورة المدثر:١-٧].

وقول الله ﷻ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة الحجر:٩٤].

فجهر ﷺ في ملأ قريش بالدعوة إلىٰ التوحيد، والطهارة مِنْ أرجاس الشرك والوثنية؛ فناداهم بطنًا بطنًا، وفردًا فردًا، فَلَمَا اجتمعوا إليه عند الصفا بجوار البيت العتيق قال لهم: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا تَخْرُجُ بِسَفْحِ هَذَا الجَبَلِ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ كَذِبًا، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ».

ولم يقتصر علىٰ الدعوة في هذا المكان المقدس، بل جَهَرَ بكلمة التوحيد في مجامع الناس في أسواقهم ونواديهم.

قال ربيعة بن عباد الديلي ﵁: «رأيتُ رسول الله ﷺ بَصَرَ عيني بسوق ذي المجاز، يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، تُفْلِحُوا»، ويدخل في فجاجها والناس متقصفون عليه –أي: متجمعون عليه تعجبًا مما يقول–، قال: فما رأيت أحدًا يقول شيئًا، وهو لا يسكت يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»، إلَّا أنَّ وراءه رجلًا أَحْول، ذا غديرتين يقول: إنَّه صابئ، كاذب، فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: محمد بن عبد الله، وهو يذكر النبوة، قلتُ: مَنْ هذا الذي يكذبه؟ قالوا: عمه! أبو لهب!».

وقال أيضًا: «إني لمع أبي رجل شاب، أنظر إلىٰ رسول الله ﷺ يتبع القبائل، ووراءه رجل أحول يقف رسول الله ﷺ علىٰ القبيلة فيقول: «يَا بَنِي فُلَانٍ، إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ، آمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تُصَدِّقُونِي وَتَمْنَعُونِي حَتَّىٰ أنفِّذَ عَنِ اللهِ مَا بَعَثَنِي بِهِ»، وإذا فرغ مِنْ مقالته قال الآخر مِنْ خلفه: يا بني فلان، هذا يريد منكم أنْ تسلخوا اللات والعزىٰ، وحلفاءكم مِنَ الجن، إلىٰ ما جاء به مِنَ البدعة والضلالة، فلا تسمعوا له ولا تتبعوه. فقلتُ لأبي: مَنْ هذا؟ قال: عمه! أبو لهب!.

تأمل في قوله: «ويدخل في فجاجها»، وفي قوله: «يتتبع القبائل»؛ لتدرك جَلَدَهُ ﷺ في نشر التوحيد، وصبره علىٰ تتبع الناس عسىٰ أنْ يكونوا من المؤمنين.

وتأمل في قوله: «وهو لا يسكت»؛ لتدرك عظم عزيمته القعساء وهمته الشماء في نشر التوحيد والدعوة إليه صلىٰ الله وسلم عليه وزاده كرامة ومجدًا لديه.

وانظر كيف لم يُثنِ رسول الله ﷺ عن السير في خط نشر التوحيد هذا التكذيب مِنَ المشركين، بل لم يثنه عن ذلك حثو التراب علىٰ جسده الطاهر .

فعن شيخ مِنْ بني مالك بن كنانة، قال: رأيتُ رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز يتخللها يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»، قال: وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول: يا أيها الناس، لا يغرنكم هذا عن دينكم؛ فإنَّما يريد لتتركوا آلهتكم، وتتركوا اللات والعزىٰ، قال: وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ».

بل لم يثنه عن السير في خط نشر التوحيد سيلان الدم من عرقوبيه الكريمين، قال طارق المحاربي: «رأيتُ رسول الله ﷺ مَرَّ في سوق ذي المجاز وعليه حلة حمراء، وهو يقول: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا»، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد أدمىٰ كعبيه وعرقوبيه، وهو يقول: يا أيها الناس لا تطيعوه؛ فإنَّه كذاب، فقلت: مَنْ هذا؟ قالوا: غلام بني عبد المطلب، فقلت: مَنْ هذا الذي يتبعه يرميه بالحجارة؟ قالوا: هذا عبد العزىٰ أبو لهب!

فصلوات الله وسلامه عليك أيها الرسول العظيم الصبور الحليم.

وتبًّا لك يا أبا لهب وتب! ويسلينا فيك أنك قد صرت إلىٰ ما أوعدك الله وبئس القرار!

**الثاني: الدعوة إلى النظر في الآيات الكونية الدالة باعترافهم على توحيد الربوبية ليلزمهم بعد ذلك بتوحيد الألوهية وإفراد الله بتوحيد العبادة.**

لقد أنزل الله القرآن علىٰ خاتم الأنبياء ﷺ ليبلغه للناس، وفيه الدعوة إلىٰ النظر إلىٰ آيات الله الكونية، التي تدل باعترافهم علىٰ توحيد الربوبية الذي يلزم منه توحيد الألوهية.

فتلىٰ ﷺ عليهم قول الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٨٥ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٨٧ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٨٤-٨٩].

وتلا عليهم قول الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ

أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ [سورة النمل:٥٩-٦٦].

## الثانية: الدعوة بضرب الأمثال.

ومن ذلك تلاوته ﷺ عليهم قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [سورة الحج:٧٣].

«فضرب الله تعالىٰ لهم هذا المثل؛ لأنَّ حجج الله تعالىٰ عليهم بضرب الأمثال أقرب إلىٰ أفهامهم، وخَصَّ الذباب لأربعة أمور تخصه: لمهانته، وضعفه، ولاستقذاره، وكثرته. فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان وأحقره لا يقدر مَنْ عبدوه مِنْ دون الله ﷻ علىٰ خلق مثله ودفع أذيته فكيف يجوز أنْ يكونوا آلهة معبودين وأربابًا مطاعين، وهذا مِنْ أقوىٰ الحجج وأوضح البراهين».

وتلا ﷺ عليهم قول الله ﷻ: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت:٤١].

«فهذا مثل ضربه الله تعالىٰ للمشركين في اتخاذهم آلهة مِنْ دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم، ويتمسكون بِهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء مِنْ آلهتهم إلَّا كَمَنْ يتمسك ببيت العنكبوت؛ فإنَّه لا يُجدي عنه شيئًا، فلو علموا هذا الحال لَمَا اتخذوا مِنْ دون الله أولياء، وهذا

بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يُحسن العمل في اتباع الشرع؛ فإنَّه مستمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها؛ لقوتِها وثباتِها».

**الثالث: الدعوة بالتحدي لهم في معبوداتهم من دون الله.**

فتلىٰ ﷺ عليهم قول الله ﷻ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سورة سبأ:٢٢-٢٣].

«فالمشرك إنَّما يتخذ معبوده لما يعتقد أنَّه يحصل له به مِنَ النفع، والنفع لا يكون إلَّا مِمَّنْ فيه خصلة مِنْ هذه الأربع إمَّا مالك لِمَا يريده عباده منه، فإنْ لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإنْ لم يكن شريكًا له كان معينًا له وظهيرًا، فإنْ لم يكن معينًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا عنده.

فنفىٰ سبحانه المراتب الأربع نفيًا مترتبًا، متنقلًا من الأعلىٰ إلىٰ ما دونه:

فنفىٰ الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة، التي يظنها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه.

فكفىٰ بِهذه الآية نورًا، وبرهانًا ونجاةً، وتجريدًا للتوحيد، وقطعًا لأصول الشرك ومواده لِمَنْ عقلها، والقرآن مملوءٌ مِنْ أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته، وتضمنه له، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا مِنْ قبل ولم يعقبوا وارثًا، وهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن.

ولعمر الله إنْ كان أولئك قد خلوا، فقد ورثهم مَنْ هو مثلهم، أو شر منهم، أو دونَهم، وتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك، ولكن مَنْ لم يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه وقع فيه وأَقَرَّهُ، ودعا إليه وصَوَّبه وحَسَّنَه، وهو لا يَعرف أنَّه هو الذي كان عليه أهل الجاهلية!!!».

## الرابع: الدعوة إلى التوحيد خارج مكة

وفي تلك الحقبة الزمنية للدعوة النبوية خرج ﷺ إلىٰ الطائف فَعَمَدَ إلىٰ نفر مِنْ ثَقيفٍ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل بن عمرو، ومسعود بن عمرو، وحبيب بن عمرو.

فجلس إليهم رسول الله ﷺ، فدعاهم إلىٰ الله، وكَلَّمهم بما جاءهم له مِنْ نصرته علىٰ الإسلام، والقيام معه علىٰ مَنْ خالفه مِنْ قومه، فقال له أحدهم: أنا أَنزِع ثياب الكعبة إنْ كان الله أرسلك!

وقال الآخر: أمَا وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟!

وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا؛ لئن كنت رسولًا مِنَ الله كما تقول، لأنتَ أعظم خطرًا مِنْ أنْ أَردَّ عليك الكلام، ولئن كنتَ تكذب علىٰ الله، ما ينبغي لي أنْ أكلمك!

فقام رسول الله ﷺ مِنْ عندهم وقد يئس مِنْ خَبر ثقيفٍ، وقد قال لهم: إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني، وكَرِه رسول الله ﷺ أنْ يبلغ قومه عنه، فيثيرهم ذلك عليه!



فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتىٰ اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلىٰ حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه مِنْ سفهاء ثقيف مَنْ كان يتبعه، فعمد إلىٰ ظل شجرة مِنْ عِنَبٍ، فجلس فيه. وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي مِنْ سفهاء أهل الطائف!

فَلمَّا اطمأن رسول الله ﷺ جأر إلىٰ الحي القيوم بدعاء عظيم، فقال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني علىٰ الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلىٰ مَنْ تكلني؟ إلىٰ بعيد يتجهمني ؟ أم إلىٰ عدوٍ ملَّكته أمري؟ إنْ لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقتْ له الظلمات ، وصلح عليه أَمر الدنيا والآخرة مِنْ أنْ تنزل بي غضبك، أو يحل عليَّ سخطك، لك العتبىٰ حتىٰ ترضىٰ، ولا حول ولا قوة إلَّا بك».

## الخامس: دعوة وفود العرب القادمين في مواسم الحج.

ظل ﷺ يتتبع وفود العرب في الموسم، يدعوهم إلىٰ التوحيد، ويعرض عليهم نصره وتأييده في سبيل إبلاغ التوحيد وتخليص العبيد مِنْ عبادة العباد، ورفعهم إلىٰ قُنَنِ عبادة رب العباد ﷻ.

وأخباره ﷺ مع الوفود في مكة كثيرة، وحسبي هنا ذكر دعوته وفد الأوس والخزرج.

«فلما أراد الله ﷻ إظهار دينه، وإعزاز نبيه ﷺ وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر مِنْ الأنصار فَعَرَّضَ نفسه علىٰ قبائل

العرب، كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقي رهطًا مِنَ الخزرج أراد الله بِهم خيرًا، فقال لهم: «مَنْ أَنْتُمْ؟»

قالوا نفر مِنَ الخزرج.

قال: «أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟»

قالوا: نعم.

قال: «أَفَلَا تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟».

قالوا: بلىٰ.

فجلسوا معه، فدعاهم إلىٰ الله ﷻ، وعَرَضَ عليهم الإسلام، وتلا عليهم القرآن.

وكان مِمَّا صنع الله لهم به في الإسلام، أنْ يهود كانوا معهم في بلادهم، وكانوا أهل كتاب وعلم، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان، وكانوا قد غلبوهم ببلادهم، فكانوا إذا كان بينهم شيء قالوا لهم: إنْ نبيًّا مبعوثٌ الآن، قد أظلَّ زمانه، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم.

فَلمَّا كَلَّمَ رسول الله ﷺ أولئك النفر، ودعاهم إلىٰ الله، قال بعضهم لبعض: يا قوم، تعلموا والله إنَّه للنبي الذي توعدكم به يهود، فلا تسبقنكم إليه!

فأجابوه فيما دعاهم إليه، بأنْ صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم مِنَ الإسلام، وقالوا: إنَّا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم مِنَ العداوة والشر ما بينهم، فعسىٰ أنْ يجمعهم الله بك، فسنقدم عليهم، فندعوهم إلىٰ أمرك، ونَعْرِضَ عليهم الذي أجبناك إليه مِنْ هذا الدين، فإنَّ يجمعهم الله عليك فلا رَجُلٌ أَعَزَّ منك.

ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين إلىٰ بلادهم، وقد آمنوا وصدقوا.

فقام هؤلاء الستة الكرام بالدعوة إلىٰ التوحيد في بيوت المدينة، فَلَمَّا كان موسم السنة الثانية عشرة مِنَ البعثة قَدِمَ خمسة مِنْ أولئك الستة وسبعةٌ معهم، فكانوا اثني عشر رجلًا، ففازوا بشرف بيعة العقبة الأولىٰ.

فلمَّا رجعوا إلىٰ المدينة ومعهم سفير الإسلام الأول مصعب بن عمير -رضوان الله عليه- فواصلوا مشوار الدعوة إلىٰ التوحيد، فلمَّا كان موسم العام الثالث عشر مِنَ البعثة قدم سبعون رجلًا مِنَ الأوس والخزرج، ففازوا بشرف بيعة العقبة الثانية، التي كان لبُّها ولُبَابُها: البيعة علىٰ نصرة رسول الله ﷺ حتىٰ يبلغ رسالة الله الخالدة، وأنَّهم باذلون أنفسهم ونفيسهم في سبيل الله ونصرة رسول الله ﷺ.

وهكذا تُوِّجَتِ المرحلة المكية الحافلة بالدعوة إلىٰ التوحيد بِهذه البيعة التي وَحَّدَتِ الأوس والخزرج؛ ليكونوا نواة دولة التوحيد، وأنصار الرسول المجيد ﷺ.

يا معشر السامعين: الباب واسع في بيان جهوده ﷺ في نشر التوحيد وصيانته في المرحلة المكية، وحسبكم أنَّ رسول الله ﷺ مكث في مكة بعد البعثة وقبل الهجرة ثلاث عشرة سنة، لم يكن فيها دعوة إلىٰ التشريعات في العبادة والمعاملة، بل كان غالبها الأعظم وسوادها الأكثر في نشر التوحيد وصيانته وحماية حماه، فصلىٰ الله وسلم علىٰ رسوله ومصطفاه، صلاة وسلامًا مزيدين دائمين إلىٰ يوم لقاه.

## معالم جهوده ﷺ في الدعوة إلى التوحيد وصيانته في المدينة

### الأول: الدعوة بالسيف والسنان.

عاش رسول الله ﷺ في مكة يدعو إلىٰ التوحيد بالحجة والبيان، وبعد أنْ هاجر إلىٰ المدينة دعا إلىٰ التوحيد بالسيف والسنان، فخرج ﷺ في سبعٍ وعشرين غزوة، في جهاد المشركين، الذين اتخذوا مِنْ دون الله أندادًا، وصدوا عن سبيل الله، وحاربوا رسول الله ﷺ لا لشيء وإنَّما لدعوته إلىٰ إفراد الله تعالىٰ بالعبادة.

وهو بتلك السفرات الجهادية ممتثلٌ أمر ربه تعالىٰ، قال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ».

ولم يقتصر ﷺ علىٰ الخروج بنفسه، وكفىٰ بذلك شرفًا ومجدًا، وتضحية وبذلًا، بل عقد أكثر مِنْ سبعين لواءً.. للسرايا والبعوث، التي قادها ثلة مِنَ القادة الكبار، حماة الإسلام، وليوث الصدام رضي الله عنهم.

وكلها مع المشركين، المعرضين الغافلين، أو الصادين المكذبين الذين ما نقموا مِنَ المؤمنين إلَّا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد.

**الثاني: مراسلة عظماء الأمم في عصره ﷺ.**

كان مِنْ أسرار وحِكَمِ صلح الحديبية أنْ تفرغ رسول الله ﷺ لمراسلة ملوك عصره مِنَ العرب والعجم، يدعوهم إلىٰ إفراد الله تعالىٰ بالعبادة لا شريك له، فراسل ملوك الإمبراطورية الفارسية، والرومانية، والحبشية، وهذه الثلاث أشهر الممالك في عصره ﷺ وأقواها.

وراسل ﷺ أمراء اليمن، وأمير الإسكندرية، وعمان، والبحرين، واليمامة، وغيرهم.

كل ذلك تحقيق لعموم بعثته ﷺ إلىٰ الثقلين، التي أمرها الله تعالىٰ في قوله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٨].

**الثالث: إرسال الدعاة إلى الأقطار لبث توحيد العزيز الجبار**

**وأشهر هؤلاء الدعاة إلىٰ التوحيد ونشره بين العبيد اثنان:**

**الأول:** الصاحب الجليل والعالم النبيل والسفير الخطير معاذ بن جبل الأنصاري الخزرجي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقد بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ اليمن سفيرًا، وقاضيًا ومعلمًا.

وقد بيَّن رسول الله ﷺ لمعاذ رتبة الذين سيقدم عليهم في العلم وأنَّهم أهل عِلْمٍ ومعرفة، ثم بَيَّنَ له رسول الله ﷺ مراتب الدعوة فقال: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَادْعُهُم الَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوكَ لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حِجَابٌ».

وقد كانت هذه الوصايا في مشهد تتندىٰ له الخدود؛ خرج رسول الله ﷺ يودِّعُ معاذًا ويوصيه! ومعاذ راكب ورسول الله ﷺ يمشي، فلما فرغ ﷺ قال: «يَا مُعَاذُ إِنَّكَ عَسَىٰ أَنْ لَا تَلْقَانِي بَعْدَ عَامِي هَذَا، وَلَعَلَّكَ أَنْ تَمُرَّ بِمَسْجِدِي هَذَا، وَقَبْرِي» فبكىٰ معاذ! لفراق رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «لَا تَبْكِ يَا مُعَاذُ إِنَّ الْبُكَاءَ مِنَ الشَّيْطَانِ»، ثم التفت ﷺ فأقبل بوجهه نحو المدينة فقال: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي الْمُتَّقُونَ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا».

**الثاني**: السفير القائد جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ ذي الكلاع، وذي عمرو وهما من أقيال اليمن، فدعاهما إلىٰ الإسلام فأسلما ولله الحمد رب العالمين.

**الرابع: إرسال الأبطال لهدم الأصنام**

لقد كانت الأصنام والأوثان أقبح مظاهر الشرك المناقضة للتوحيد، فَهدْمُهَا مِنْ أعظم مقاصد التوحيد، ومِنْ أَبْهَىٰ صور تحقيقه علىٰ الأرض، فقيام الأصنام هَدْمٌ للتوحيد، وهَدْمُها قيام للتوحيد، فلا يجتمع تَوحيدٌ وصنم، حتىٰ يجتمع الضب والنون، ويجلس الفأر في حضن الهر!

ومِنْ تلك الجهود النبوية في هدم الأصنام الوثنية:

**الأول: تطهير البيت الإمام من دنس الأصنام.**

وذلك حين دخل ﷺ مكة المكرمة، يوم الفتح الأعظم والنصر الأغر، في شهر رمضان المعظم سنة ثمان مِنْ هجرته ﷺ.

فحين دخل إلىٰ الكعبة وحولها ستون وثلاث مئة صنمٍ جَعل ﷺ يطعنها بعود في يده، وهو يقول: «جَاءَ الحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ البَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ، جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا».

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «دخلنا مع رسول الله ﷺ مكة في البيت وحول البيت ثلاث مئة وستون صنمًا تُعْبَدُ مِنْ دون الله ، قال: فأمر بِها رسول الله ﷺ فَكُبَّتْ كلها لوجوهها ، ثم قال: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

[سورة الإسراء:٨١].

ثم نادىٰ منادي رسول الله ﷺ بمكة: مَنْ كان يؤمن بالله وبرسوله فلا يدعن في بيته صنمًا إلَّا كسره، فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام، وكان عكرمة بن



أبي جهل حين أسلم لا يسمع بصنم في بيتٍ مِنْ بيوت قريش إلَّا مشىٰ إليه حتىٰ يكسره!

وقال جبير بن مطعم: «لمَّا كان يوم الفتح نادىٰ منادي رسول الله ﷺ: مَنْ كان يؤمن بالله فلا يتركن في بيته صنمًا إلَّا كسره أو حرقه، وثمنه حرام، قال جبير: وقد كنتُ أرىٰ قبل ذلك الأصنام يطاف بِها مكة، فيشتريها أهل البدو فيخرجون بها إلىٰ بيوتِهم، وما مِنْ رجل من قريش إلَّا وفي بيته صنم، إذا دخل مسحه وإذا خرج مسحه تبركًا به».

**الثاني: إرسال سيف الله ورسوله خالد بن الوليد رضي الله عنه لهدم العزى.**

اشتق المشركون هذا الاسم مِنْ اسم الله تعالىٰ (العزيز) تعالىٰ الله عمَّا يشركون، وزعموا: أنَّ العزىٰ تأنيث الأعز، والأعز بمعنىٰ العزيز، والعزىٰ بمعنىٰ العزيزة.

وظلت العرب تعظم هذا الصنم، بالزيارة والذبح، وجعلوا لها شِعبًا محرمًا يضاهون به حرم الكعبة، وجعلوا لها مَنْحرًا خاصًّا ينحرون فيه هداياها.

فلما بعث الله خاتم الأنبياء ﷺ دعاهم إلىٰ تركها وإخلاص العبادة لله تعالىٰ، فقام المشركون وما قعدوا في الدفاع عنها، والتمسك بتعظيمها، فاشتدت العداوة واشتعلت نيران الحرب الكلامية وتبعها الحرب الدموية بَيْنَ أولياء الله الموحدين وأعداء الله المشركين، وكان صنم (العزىٰ) حاضرًا في ساحات المعارك، ففي غزوة أحد يصرخ أبو سفيان بن حرب قائد جيش المشركين يومئذ: (لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم) فأجابه الموحدون بقولهم: (الله مولانا ولا مولىٰ لكم).

ولمَّا حضر الموت أحد المشركين دخل عليه أبو لهب يعوده فوجده يبكي، فقال: ما يبكيك؟ أَمِن الموت تبكي ولا بدّ منه!! قال: لا ولكني أخاف ألَّا تعبد (العزّىٰ) مِنْ بعدي! فقال أبو لهب: والله ما عُبدت في حياتك مِنْ أجلك، حتىٰ تُترك عبادتُها بعد موتك!

وبعد الفتح الأعظم أرسل رسول الله ﷺ سرية قوتُها ثلاثون فارسًا بقيادة القائد العظيم خالد بن الوليد رضي الله عنه، إلىٰ الطاغون الأكبر والصنم الأعظم في قلوب المشركين.

فلما وصلت السرية الظافرة قطعوا شجر السمر حول الصنم، ثم هدموا البيت الذي كان علىٰ الصنم، وكان القائد يضرب بيده المباركة وهو يردد:

يا عُزَّىٰ كُفرانَكِ لا سُبحانك

إني رأيتُ الله قد أهانكِ

فلما رجع خالد إلىٰ رسول الله ﷺ وأخبره بما صنع قال له ﷺ: ارجع فإنك لم تصنع شيئًا!

فرجع خالد رضي الله عنه فلما رآه السدنة هربوا إلىٰ الجبل وهم يصيحون يا عزىٰ خَبِّليه يا عزىٰ عَوِّريه!

فأتاها خالد، فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب علىٰ رأسها!

فتقدم إليها خالد رضي الله عنه وضربَها بسيف التوحيد حتىٰ قتلها، ثم رجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره بذلك فقال: تلك هي العزىٰ.



**الثالث: إرسال القائد البطل سعد بن زيد الأشهلي الأنصاري رضي الله عنه لهدم صنم (مناة).**

كانت مناة اسم صنم، وكانت علىٰ ساحل البحر الأحمر ببلاد قُدَيْدٍ، بين مكة والمدينة، أسسها حامل لواء الشرك والوثنية في الجزيرة العربية عمرو بن لحي مُغيِّر ملة خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

فكان لها عند مشركي العرب مكانة عظيمة، حتىٰ إنَّهم كانوا لا يطوفون بَيْنَ الصفا والمروة تحرجًا وتعظيمًا لها، فكان مِنْ سننهم المتوارثة بينهم أنَّ مَنْ أَحَرَمَ لمناة لم يطف بَيْنَ الصفا والمروة.

فلما بعث رسول التوحيد المجدد لملة إمام الحنفاء عليهم الصلاة والسلام حذر مِنْ هذا الصنم ومِنْ غيره مِنَ الأصنام، فكان ذلك جهاده ﷺ في نشر التوحيد بالكتاب الهادي.

ولما فرغ ﷺ مِنَ الفتح الأعظم والنصر الأكبر فتح مكة، عقد لواء السيف الناصر للصحابي سعد بن زيد الأشهلي -وكان من المعظمين لهذا الصنم في الجاهلية- وبعث معه عشرين فارسًا، وأمرهم بتطهير الأرض مِنْ رجس هذا الصنم، وطمس مَعْلَمٍ مِنْ معالم الشرك والوثنية المناقضة لخالص التوحيد لرب العبيد، إله الأولين والآخرين، لا إله إلا هو ولا معبود بِحقٍ سواه.

فلما وصلها قابله سادنُها قائلًا لسعد: ما تريد؟ قال: هدم مناة! قال: أنت وذاك، فأقبل سعد يمشي إلىٰ الصنم فخرجت إليه امرأة سوداء عريانة ثائر الرأس تدعو بالويل وتضرب صدرها!

فصاح بِها السادن صحية الواثق الساذج: (مناة.. دونك بعض عصاتك) فلم يأبه بِها سعد وأخذ المعول يهدم بِها صنم الشرك والوثنية، ولم يجد في خزانتها شيئًا، فلعل السدنة قد أخذوه، قبل أنْ يصل إليهم جنود التوحيد.

ولم يكن جنود التوحيد بحاجة إلىٰ ما في خزائنها؛ فإنَّما غايتهم العظمىٰ ومقصدهم الأسمىٰ نشر التوحيد وطمس معالم الشرك، فليخسأ المستشرقون وأذنابَهم الذين يرطنون بأنَّ تلك الغزوات النبوية والسرايا الصحابية كانت لجمع المال، ولعلَّ عِرْقَ الشرك نَبَضَ في قلوب هؤلاء علىٰ الشرك والوثنية وهم الغارقون فيها حتىٰ الثمالة! وزادوا بلة الإلحاد!

**الرابع: إرسال رَجُلِ العَالَم وداهية قريش عمرو بن العاص لهدم صنم سُواع.**

كان أصل هذا الصنم لقوم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال الله تعالىٰ مخبرًا عن تمسكهم بأصنامهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [سورة نوح:٢٣].

ثم صار هذا الصنم لقبيلة هذيل، وكان في بلدة رهاط، وهو وادٍ شمال عُسْفان شمال مكة المكرمة.

فلمَّا فرغ ﷺ مِنْ فتح مكة أرسل القائد المغوار عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لهدم الصنم (سُواع).

قال عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «انتهيت إليه وعنده السادن، فقال: ما تريد؟ فقلت: هدم سواع. فقال: مالك وَلَهُ؟ فقلت: أمرني رسول الله ﷺ! قال: لا تقدر علىٰ هدمه. قلت: لم؟ قال: يمتنع! قال عمرو: حتىٰ الآن أنت في الباطل! ويحك هل يسمع أو

يبصر؟ قال عمرو: فدنوت إليه فكسرته، وأمرت أصحابي فهدموا بيتَ خزانته، ولم يجدوا فيها شيئا، ثم قال للسادن: كيف رأيتَ؟ قال: أسلمتُ لله».

**الخامس: إرسال خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة لهدم صنم اللات.**

وهذا الصنم هو المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [سورة النجم:١٩].

وكان هذا الصنم في موضع منارة مسجد الطائف اليسرىٰ.

وكان معظمًا عند مشركي العرب؛ يزورونه، ويُحرِّمون واديه؛ يظاهئون بذلك الكعبة المشرفة!

ولمَّا وضعت الحرب أوزارها مع أهل الطائف أرسلوا وفدًا للمصالحة مع رسول الله ﷺ، فلما كُتب الصلح قال الوفد لرسول الله ﷺ: أرأيت الرَّبَّةَ ، ما ترىٰ فيها؟ قال: «هَدْمَهَا». قالوا: هيهات! لو تعلم الرَّبَّة أنا أوضعنا في هدمها قتلت أهلنا، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ويحك يا عبد يا ليل! إن الرَّبَّةَ حجر لا يدري مَنْ عبده مِمَّنْ لا يعبده. قال عبد يا ليل: إنَّا لم نأتك يا عمر! فكلموا النبي ﷺ يدع الرَّبَّة ثلاث سنين لا يهدمها، فأبىٰ! قالوا: سنتين! فأبىٰ. قالوا: سنة! فأبىٰ. قالوا: شهرًا واحدًا! فأبىٰ أن يوقت لهم وقتًا!

فسألوا النبي ﷺ أنْ يُعفيهم مِنْ هدمها. قال رسول الله ﷺ: نعم، أنا أبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة يهدمانِها. واستعفوا رسول الله ﷺ أنْ يكسروا أصنامهم بأيديهم. وقال: أنا آمر أصحابي أن يكسروها».

فانظر كيف أبىٰ قلبه الشريف المقدس ﷺ أنْ يُمهلهم في هدم هذا الصنم، وكيف يطيب لقلبٍ قادرٍ علىٰ طمس معالم الشرك أن يصبر لحظة واحدة؟!

وانظر إلىٰ حلمه ﷺ الوافر وحكمته السابغة في إعفائهم هدمها.

ثم عقد ﷺ اللواء للسيف الناصر، سرية عسكرية بقيادة الإمام البطل خالد بن الوليد رضي الله عنه، ومعه المغيرة بن شعبة، وأبو سفيان بن حرب رضي الله عنهما.

وتقدم القائد البطل المغيرة بن شعبة في بضعة عشر جنديًّا مِنْ جنود التوحيد، وعليهم حراسة مشددة مِنْ قوم المغيرة بني معتب، فلمَّا سمعت بذلك ثقيف خرجت عن بكرة أبيها؛ رجالها وصبيانِّها، حتىٰ الأبكار مِنْ خدورهن، وظنَّ أكثرهم -لقرب عهدهم بالجاهلية- أنَّ صنم اللات لن تُهدم!

وكان المغيرة رضي الله عنه رجلًا فيه دُعابة فقال لأصحابه: «والله لأضحكنكم مِنْ ثقيف، فضرب بالفأس ثم سقط يركض، فارتج الطائف بصيحة واحدة، وقالوا: أَبْعَدَ اللهُ المُغِيرَةَ قد قتلته الرَّبَّةُ، وفرحوا حين رأوه ساقطًا، وقالوا مخاطبين أفراد السرية: «مَنْ شاء منكم فليقترب وليجتهد علىٰ هدمها فوالله لا تُستطاع أبدًا، فوثب المغيرة بن شعبة، وقال: «قبحكم الله يا معشر ثقيف.. إنَّما هي لكاع حجارةٍ وَمَدَرٍ، فاقبلوا عافية الله واعبدوه».




**السادس: إرسال القائد المغوار يوسف هذه الأمة جرير بن عبد الله البجلي ﷺ، لِهدم صنم ذي الخَلَصة.**

وذو الخَلَصة اسم للبيت الذي كان فيه الصنم، وحَكَىٰ المبرِّد أنَّ موضع ذي الخلصة صار مسجدًا جامعًا لبلدة يقال لها: العَبَلات.

وكان هذا الصنم في بلدة تبالة بَيْنَ مكة واليمن، وكان مُعظمًا عند عدة قبائل مِنْ مشركي العرب، فكانوا يُلبسونه القلائد، ويهدون إليه الشعير والحنطة، ويصبون عليه اللبن، ويذبحون له، ويعلقون عليه بيض النعام، وشطحوا فسموه: (الكعبة اليمانية)!

ولمَّا لم يكن شيء أَتْعَبَ لقلب النبي ﷺ مِنْ بقاء ما يُشرَك به مِنْ دون الله تعالىٰ، ولا أَطْلَبَ لراحة قلبه مِنْ هدم معالم الشرك والوثنية، فقد نادىٰ الصاحب الجليل والقائد المغوار جرير بن عبد الله البجلي فقال: «يَا جَرِيرُ، أَلَا تُرِيحُنِي مِنْ ذِي الخَلَصَةِ؟»، قلت: بلىٰ والله يا رسول الله، فهو مِمَّا كنتُ أُحبُّ ، وأتمنىٰ أنْ لا يهدمه غيري. قال: «فَاخْرُجْ إِلَيْهِ فِي قَوْمِكَ حَتَّىٰ تَهْدِمَهُ إِنْ شَاءَ اللهُ»، قال جرير: فنفرت في خمسين ومئة رجلٍ مِنْ أَحْمَسَ، فانتهيتُ إلىٰ ذي الخلصة، فإذا قوم ممسكون بالشرك، يقولون: أنتم تقدرون عليها؟ قال: فقلتُ: سترون إن شاء الله. فأتناول قَبَسًا مِنْ نار، وَصِحْتُ بأصحابي يحملون الحشيش اليابس وهو حولنا ركام، ثم أَضرمته عليه حتىٰ صار الصنم مجردًا مِنْ كُلِّ ما كان عليه مثل الجَمَلِ الجَرِبِ قد هُنِئَ بِالقَطِرَانِ. قال: وبعثتُ بشيرًا إلىٰ النبي ﷺ يقال له: أبو أرطأة، واسمه حسين بن ربيعة، فقلت له: أَجِدَّ السير حتىٰ تقدم علىٰ رسول الله ﷺ

فتخبره بِهدمها، قال: فركبَ فأغذَّ السير حتىٰ قَدِمَ علىٰ رسول اللهﷺ، فجعل يخبره، والنبي ﷺ يقول: «أَفَهَدَمْتُمُوهَا»؟ فجعل يقول: نعم ، والذي بعثك بالحق، ما جئتك حتىٰ تركتها كأنَّها جَمَلٌ أَجْرَبَ، فسجد ﷺ شكرًا لله تعالىٰ، ودعاء بالبركة علىٰ خَيْلِ أَحْمَسَ ورجالها خمس مرات».

هكذا يفرح ﷺ فيعفر جبينه الطاهر بالتراب شكرًا لله تعالىٰ علىٰ نعمة نشر التوحيد وطمس معالم الشرك والوثنية!

تلك هي الجهود النبوية في تطهير الأرض مِنْ دنس الشرك وخبث الوثنية!

وهكذا إذا جالت فرسان التوحيد في ميادين الكفاح، طارت رؤوس الشرك في مهاب الرياح!



**الخامس: قطع جذور الغلو في الصالحين.**

ومِن جهوده ﷺ في نشر التوحيد وصيانته وحماية حماه التحذير مِنْ ذرائع الغلو والإطراء في الفضلاء، فإنَّ مِنْ أوسع أودية الباطل: الغلوُّ في الأفاضل، فالنصارىٰ أولَ ما غلوا في عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان الغلاة يرمون كلَّ مَنْ أنكر عليهم بأنَّه يُبغض عيسىٰ ويحقره ونحو ذلك، فكان هذا مِنْ أعظم ما ساعد علىٰ انتشار الغلوّ؛ لأنَّ بقايا أهل الحق كانوا يرون أنَّهم إذا أنكروا علىٰ الغلاة نُسبوا إلىٰ ما هم أشدُّ الناس كراهيةً له، مِنْ بُغض عيسىٰ وتحقيره، ومَقَتهم الجمهور، وأُوذوا؛ فثبَّطهم هذا عن الإنكار، وخلا الجو للشيطان، وقريب من هذا حال القبوريين.

ولأجل حسم هذه المادة فقد حذر رسول الله ﷺ الأمة مِنْ الغلو والإطراء، خشية أنْ يتولد منه ما يخدش التوحيد ويبذر بذرة الشرك، وقد كان أول أمر الشرك في قوم نوح مِنْ بابة الغلو في أولئك الصالحين الذي انتهىٰ بِهم إلىٰ الشرك برب العالمين.

**ومن تحذيره ﷺ من الغلو في الصالحين والإطراء في الفضلاء ما يلي:**

**الأول: تحذيره ﷺ من الغلو فيه فوق ما شرفه لله بالنبوة والرسالة.**

قال ﷺ: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ».

فهذا تحذير مطلق مِنَ الغلو القولي والفعلي فيه ﷺ، وقد حَذَّرَ مِنْ مظهر مِنْ مظاهر الغلو فقال: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي».

فحذَّر ﷺ مِنَ اتخاذ قبره عيدًا يعودون إليه بالاجتماع؛ ليصرفوا له ﷺ أيَّ نَوعٍ مِنْ أنواع العبادة لله، كالدعاء، والاستغاثة، والاستعانة، والركوع والسجود، وغير ذلك مِنَ القربات، وبَيَّنَ ﷺ أنَّ الأنفع لنا والمشروع لنا مِنْ حقوقه هو الصلاة والسلام عليه ﷺ، فإنَّها مِنْ أبرك الطاعات وأفضل القربات، ويسهل أداؤها في كل مكان وزمان، أمَّا العكوف عند قبره لطلب النفع ودفع الضر، فإنَّما هو تحويل للقبر الأعطر إلىٰ وثنٍ يُعبد، وقد تَضرَّع ﷺ إلىٰ ربه فقال: «اللهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وقال ﷺ: «لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ مُحَمَّدٌ».

وذَمَّ الخطيب الذي قال: «مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ عَصَاهُمَا فَقَدْ غَوَىٰ»؛ سدًّا لذريعة التشريك في المعنىٰ بالتشريك في اللفظ، وحسمًا لمادة الشرك حتىٰ في اللفظ، ولهذا قال ﷺ -للذي قال له: «مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ»-: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ

نِدًّا»؛ فحسمَ مادة الشرك وسدَّ الذريعة إليه في اللفظ كما سدَّها في الفعل والقصد، فصلوات الله وسلامه عليه أكمل صلاة وأزكاها وأتمَّها.

**الثاني: لعنه لمن اتخذ على قبور الصالحين مساجد، يحذر مما صنعوا.**

فحين ذكرت أم حبيبة وأم سلمة له ﷺ كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير، قال: «إِنَّ أُولَئِكَ، إِذَا كَانَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، فَمَاتَ، بَنَوْا عَلَىٰ قَبْرِهِ مَسْجِدًا، وَصَوَّرُوا فِيهِ تِلْكِ الصُّوَرَ، أُولَئِكِ شِرَارُ الخَلْقِ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

فبيَّن ﷺ أنَّ هذا الغلو في التعظيم مِنْ أعمال شرار الخلق، وليس مِنَ الإجلال للصالحين في شيءٍ، فهذا حكمه فيمن فعل هذا الغلو، وقد أتبعه بتحذيره مِنَ اتباع أولئك الأشرار فقال ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا القُبُورَ مَسَاجِدَ، إِنِّي أَنْهَاكُمْ عَنْ ذَلِكَ».

وحسبك أنَّه ﷺ ظل يلهج بِهذا التحذير في مرض موته؛ حرصًا علىٰ صيانة التوحيد، وخوفًا علىٰ الأمة أنْ تتبع سَنَنَ الذين غيَّروا وبدلوا مِنْ أهل الكتاب والمشركين.



**السادس: قطع جذور الشرك في الأسباب.**

ومِنْ جهوده ﷺ في الدعوة إلىٰ التوحيد وحماية حماه: قطع جذور الشرك في الأسباب.

قال ﷺ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي ثَلَاثٌ: الِاسْتِسْقَاءُ بِالأَنْوَاءِ، وَحَيْفُ السُّلْطَانِ، وَالتَّكْذِيبُ بِالقَدَرِ».

وقال زيد بن خالد رضي الله عنه: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الحُدَيْبِيَةِ، فَأَصَابَنَا مَطَرٌ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَصَلَّىٰ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الصُّبْحَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ. قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ: قَالَ اللهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِرَحْمَةِ اللهِ وَبِرِزْقِ اللهِ وَبِفَضْلِ اللهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَجْمِ كَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ كَافِرٌ بِي».

وهذا منه ﷺ حسم لمادة اعتقاد تأثير هذه الأسباب بنفسها مِنْ غير اعتقاد أنَّها بتقدير الله وقضائه؛ فَمَنْ أضاف شيئًا مِنَ النعم إلىٰ غير الله مع اعتقاده أنَّه ليس مِنَ الله فهو مشرك حقيقة، ومَنْ أضاف شيئًا مِنَ النعم إلىٰ تلك الأفلاك مع اعتقاد أنَّه من الله فهو نوع شرك خفي.

فالمقصود تخليص التوحيد مِنْ شوائب الشرك، وأنْ يَمتلئَ القلب بالاعتقاد الكامل أنَّ الله تعالىٰ هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون في كل دقيقة وجليلة، المستحق للعبادة وحده لا شريك له.

و لعلِّي قد أطلت، ولكن والله ما شبعت، ومَنْ الذي يشبع من الكلام علىٰ توحيد رب العالمين، إله الأولين والآخرين، قيوم السماوات والأرضين!



ومَنِ الذي يشبع مِنْ أخبار سيد المرسلين العطرة وكلامه الأعطر، فصلىٰ الله وسلم عليه ما اتصلت عين بنظر وأذن بخبر.

**مِنْ عِبَرِ هذا العَرْضِ:**

**الأولىٰ**: أنَّ التوحيد أَصل الأصول، وأَوْجب الواجبات، وأَفرض الفرائض، وأَقدس الشرائع؛ فالحديث عنه قبل كل شيءٍ، وأهم مِنْ كل شيءٍ، أخذًا ونشرًا، في المحابر والمنابر، فمَا تَعَلَّمَ العبيد أَعظمَ مِنَ التوحيد!

**الثانية**: أنَّ رسول الله ﷺ جاهد في سبيل نشر التوحيد وصيانته حق الجهاد وأتمه؛ لحال أهل عصره، ولِخوفه مِنْ وقوع مَنْ بعده في ظلمات الشرك.

قال ﷺ: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالعُزَّىٰ».

وقال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالمُشْرِكِينَ، وَحَتَّىٰ تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ».

وقال ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ، حَوْلَ ذِي الخَلَصَةِ».

**الثالثة**: أنَّ السيرة النبوية ليست قصة فقط.. وأكرم بِها مِنْ قصة، وليست تاريخ انقضىٰ.. وأنعم به!

بل هي توحيد وإيمان، وإسلام وإحسان، وحقوق، وعُمْران.. للكون ومَنْ فيه، ومَنْ أنعم النظر وأَجال الفكر في هذه المجالس ظهر له بجلاء عظمة سيرة المصطفىٰ ﷺ، وشمولها لكل خير، وصدق الحافظ ابن الجوزي حين قال: «وأصل الأصول العلم، وأنفع العلوم النظر في سير الرسول ﷺ وأصحابه ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠].

وصدق وبر العلامة ابن شيخ الحزَّامين حين قال: «أصل المعرفة: الإيمان بالله ﷻ وبرسوله ﷺ وإنَّما يَنشأ الإيمان مِنْ معرفة الرسول ﷺ بمعرفة سيرته، وسنته، وغزواته، ومعجزاته، وآياته، وكراماته، فبذلك يُعْلَمُ شأن النبوة، وتَلُوحُ أدلتها وبراهينها في القلوب.

ومتىٰ عُلِمَ شأن النبوة، ورسخت معالمها ودلائلها في القلوب: كانت كرسيًّا لعلم التوحيد، وطريقًا إلىٰ معرفة الربِّ العظيم المرسل الباعث؛ لأنَّ النبوة آيات الله وبيانته ودلالاته لِمَنْ اتسع فهمه وصفا مِنَ الكدر».

فَمَنْ يظن السيرة النبوية هي أحداث الغزوات والسرايا فقط، فإنَّما ينادي علىٰ نفسه بقلة الاطلاع علىٰ سيرة نور البقاع ﷺ.

وحتىٰ لو لم تكن السيرة النبوية إلَّا المغازي والسرايا، فأكرم وأنعم، ففيها العبر والعظات، والأحكام والأخبار.

**الرابعة**: البدء بتطهير القلوب مِنْ آثار الشرك، ثم تطهير الأرض مِنْ معالم الشرك والوثنية، فنبينا ﷺ ظَلَّ في مكة يدعو إلىٰ التوحيد بالكتاب الهادي ليلًا ونَهارًا وسرًّا وجهرًا، -كل ذلك وأكبر مِنْ ذلك- في ثلاثة عشر عامًا، ولم يهدم في تلك المدة صنمًا ولا كسر وثنًا!

فلمَّا هاجر إلىٰ المدينة وفيها العدة والعتاد والمنعة والقوة، وأذن الله تعالىٰ بالجهاد.. شَهَرَ السيف الناصر والمِعْوَلَ الكاسر، فكان منه ما سبق ذكره مِنْ طمس معالم الشرك والوثنية.

وهكذا يجب علىٰ خلفائه السير بسيره والاقتداء بفعله، فهو الأعلم والأحكم، وهو الأحرص علىٰ هداية الناس، وهو أعظم مَنْ شَيَّد معالم التوحيد، وأكبر مَنْ طمس معالم الشرك والوثنية، فمهما بلغ حُبُّنَا للحق فلن نَنصره إلَّا بالحق، ولا حَقَّ إلَّا ما كان مِنْ دوحة هادي الصادر والمنقلب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلىٰ الله وسلم عليه وزاده كرامةً ومجدًا لديه.

وعليه فإنَّ العجلة في تطهير الأرض مِنْ معالم الشرك ومعاقله لون مِنْ ألوان تشويه وجهِ الإسلام، ومسابقةٌ لهدي سيد الأنام ﷺ، وتأجيجُ الفتن، وزرع المحن، وصَبِّ الزيت علىٰ النار، وتلك بضاعة الأنصاف، ونِصفُ مُوحدٍ يُخرِّبُ التوحيد!

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ارزقنا أعلىٰ درجات التوحيد، وطهر قلوبنا مِنْ دسائس الشرك.

اللهم اعمر قلوبنا وأوطاننا بالتوحيد، واصرف عنا نواقضه ومفسداته.

اللهم أعنا علىٰ نشر التوحيد بين العبيد بالحكمة والرسوخ.

اللهم وفقِّ العباد إلىٰ نشر التوحيد، وتطهير الأرض مِنْ معالم الشرك ومعاقله.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك علىٰ نبينا الكريم ورسولنا العظيم الذي جاءنا بالتوحيد الخالص، وحذَّرنا مِنَ الشرك ظاهره وخفيه، اللهم فاجزه عنا خير ما جزيتَ نبيًّا عن أمته، يا كريم وهاب، يا خير الرازقين.

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم





## المجلس الخامس: من أخبار الدواب والأشجار والأحجار مع المختار ﷺ

الحمد لله الذي جعل حظَّنا نبيَّه وحبيبه؛ سيدنا محمدًا الذي أدَّبه فأحسن تأديبَه، وزكَّىٰ صفته وأخلاقه ووفَّر نصيبَه، ووفَّق للاقتداء به مَن أراد تَهذيبَه، وحَرَمَ عن التخلُّق بأخلاقه مَنْ أراد تخييبَه، صلوات الله تعالىٰ عليه وسلامه، وتحيَّاته وبركاته وإكرامه، وعلىٰ آله أجمعين، وأصحابه والتابعين، ما ذُكِرت محاسنه وفضائله وسَرَّت السامعين؛ صلاةً دائمة علىٰ تعاقب الأوقات والسنين.

**أما بعد**: فمجلسنا هذا في أخبار الدواب والأشجار والأحجار مع المختار ﷺ طاعة وإيمانًا، ومحبة وتعظيمًا، وشكاية وحَنينًا، وغير ذلك مِنَ الآيات البينات والبراهين الساطعات التي أَيَّدَ الله تعالىٰ بِها سِرَاجَ الظلمات ﷺ، وأظهر بِها فضله عليه وكرامته لديه؛ لتكون للمؤمنين عبرة وآية، يزاد بِها المؤمن إيمانًا، والموقن يقينًا، والمحب إجلالًا وتعظيمًا، والمبجِّلُ شوقًا وحنينًا.

رب يسر وأعن يا كريم يا وهاب.

### شهادتها لرسول الله ﷺ بالرسالة

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «بَيْنَا رَاعٍ يَرْعَىٰ بِالحَرَّةِ إِذْ عَرَضَ ذِئْبٌ لِشَاةٍ مِنْ شَائِهِ، فَجَاءَ الرَّاعِي يَسْعَىٰ فَانْتَزَعَهَا مِنْهُ، فَقَالَ لِلرَّاعِي: أَلَا تَتَّقِي اللهَ، تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ رِزْقٍ سَاقَهُ اللهُ إِلَيَّ؟ قَالَ الرَّاعِي: العَجَبُ لِلذِّئْبِ-وَالذِّئْبُ مُقْعٍ عَلَىٰ ذَنَبِهِ- يُكَلِّمُنِي بِكَلَامِ الإِنْسِ، قَالَ الذِّئْبُ لِلرَّاعِي: أَلَا أُحَدِّثُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا، هَذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ الحَرَّتَيْنِ، يُحَدِّثُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، فَسَاقَ الرَّاعِي شَاءَهُ إِلَىٰ المَدِينَةِ، فَزَوَاهَا فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ دَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ مَا

قَالَ الذِّئْبُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ وَقَالَ لِلرَّاعِي: «قُمْ فَأَخْبِرْ» ، فَأَخْبَرَ النَّاسَ بِمَا قَالَ الذِّئْبُ، وَقَالَ ﷺ: «صَدَقَ الرَّاعِي، أَلَا مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ كَلَامُ السِّبَاعِ الإِنْسَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تُكَلِّمَ السِّبَاعُ الإِنْسَ، وَيُكَلِّمَ الرَّجُلَ نَعْلُهُ، وَعَذَبَةُ سَوْطِهِ، وَيُخْبِرَهُ فَخِذُهُ بِحَدِيثِ أَهْلِهِ بَعْدَهُ».

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فِي سَفَرٍ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيْنَ تُرِيدُ؟» قَالَ: إِلَىٰ أَهْلِي قَالَ: «هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ؟» قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» فَقَالَ: وَمَنْ يَشْهَدُ عَلَىٰ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «هَذِهِ السَّلَمَةُ» فَدَعَاهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الوَادِي فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ خَدًّا حَتَّىٰ قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلَاثًا، فَشَهِدَتْ ثَلَاثًا أَنَّهُ كَمَا قَالَ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَىٰ مَنْبَتِهَا وَرَجَعَ الأَعْرَابِيُّ إِلَىٰ قَوْمِهِ، وَقَالَ: إِنِ اتَّبَعُونِي أَتَيْتُكَ بِهِمْ، وَإِلَّا رَجَعْتُ، فَكُنْتُ مَعَكَ».

حقًّا وصدقًا وعدلًا أن محمدًا رسول الله ﷺ ، وقد قال ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، إِلَّا يَعْلَمُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ، إِلَّا عَاصِي الجِنِّ وَالإِنْسِ».

فالحمد الذي نجانا مِنَ العصيان، وجعلنا مِنَ الشاهدين لسيد المرسلين ﷺ بأنَّه رسول الله المرتضىٰ ونبيه المجتبىٰ، أرسله الله تعالىٰ إلىٰ عامة الجن وعامة الورىٰ، بالحق والهدىٰ، وبالنور والضياء، فبلَّغ الرسالة وأدَّىٰ الأمانة، وتركنا علىٰ المحجة البيضاء، فجزاه الله عنا خير ما جزىٰ نبيًّا عن أمته ولا خالف بنا عن ملته، وحشرنا ووالدينا في زمرته، إنَّه ولي الطَّول والفضل والإنعام.





## طاعتها لرسول الله ﷺ

قال أسامة بن زيد رضي الله عنهما: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي حِجَّتِهِ الَّتِي حَجَّهَا. فَلَمَّا قَضَيْنَا حِجَّتَنَا انْصَرَفْنَا، فَنَزَلْنَا بِالرَّوْحَاءِ. فقَالَ ﷺ: يَا أُسَيْمُ: قُمْ فَاخْرُجْ فَانْظُرْ هَلْ تَرَىٰ مَكَانًا يُوَارِي رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَخَرَجْتُ، فَمَشَيْتُ حَتَّىٰ حَسِرْتُ، وَمَا قَطَعْتُ النَّاسَ وَمَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَرَىٰ أَنَّهُ يُوَارِي أحدًا، وقد مَلَأَ النَّاسُ مَا بَيْنَ السَّدَّيْنِ. فَأَخْبَرْتُهُ فقَالَ ﷺ: فَهَلْ رَأَيْتَ شَجَرًا أَوْ رَجْمًا؟ قُلْتُ: بَلَىٰ، قَدْ رَأَيْتُ نَخَلَاتٍ صِغَارًا إِلَىٰ جَانِبِهِنَّ رَجْمٌ مِنْ حِجَارَةٍ. فَقَالَ ﷺ: يَا أُسَيْمُ، اذْهَبْ إِلَىٰ النَّخَلَاتِ فَقُلْ لَهُنَّ: يَأْمُرُكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنْ يَلْحَقَ بَعْضُكُنَّ بِبَعْضٍ حَتَّىٰ تَكُنَّ سُتْرَةً لِمَخْرَجِ رَسُولِ الله ﷺ، وقل كذلك لِلرَّجْمِ فَأَتَيْتُ النَّخَلَاتِ فَقُلْتُ لَهُنَّ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ ﷺ، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ تَفَاقُرِهِنَّ بِعُرُوقِهِنَّ وَتُرَابِهِنَّ حَتَّىٰ لَصِقَ بَعْضُهُنَّ بِبَعْضٍ، فَكُنَّ كَأَنَّهُنَّ نَخْلَةٌ وَاحِدَةٌ، وَقُلْتُ ذَٰلِكَ لِلْحِجَارَةِ. فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ تَفَاقُرِهِنَّ حَجَرًا حَجَرًا، حَتَّىٰ عَلَا بَعْضُهُنَّ بَعْضًا، فَكُنَّ كَأَنَّهُنَّ جِدَارٌ. فَأَتَيْتُهُ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فقَالَ ﷺ: خُذِ الإِدَاوَةَ، فَأَخَذْتُهَا، ثُمَّ انْطَلَقْنَا نَمْشِي، فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْهُنَّ سَبَقْتُهُ ﷺ فَوَضَعْتُ الإِدَاوَةِ ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَانْصَرَفَ ﷺ حَتَّىٰ قَضَىٰ حَاجَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُوَ يَحْمِلُ الإِدَاوَةَ فَأَخَذْتُهَا مِنْهُ ﷺ، ثُمَّ رَجَعْنَا. فَلَمَّا دَخَلَ ﷺ الخِبَاءَ قَالَ ﷺ يَا أُسَيْمُ انْطَلِقْ إِلَىٰ النَّخَلَاتِ، فَقُلْ لَهُنَّ: يَأْمُرُكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تَرْجِعَ كُلُّ نَخْلَةٍ إِلَىٰ مَكَانِهَا، وَقُلْ ذَٰلِكَ لِلْحِجَارَةِ. فَأَتَيْتُ النَّخَلَاتِ فَقُلْتُ لَهُنَّ، قَالَ: فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ تَفَاقُرِهِنَّ وَتُرَابِهِنَّ، حَتَّىٰ عَادَتْ كُلُّ نَخْلَةٍ إِلَىٰ مَكَانِهَا. وَقُلْتُ ذَٰلِكَ لِلْحِجَارَةِ فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ لَكَأَنِّي

أَنْظُرُ إِلَىٰ تفاقرهن حَجَرًا حَجَرًا حَتَّىٰ عَادَ كُلُّ حَجَرٍ إِلَىٰ مَكَانِهِ. فَأَتَيْتُهُ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ».

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «سِرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّىٰ نَزَلْنَا وَادِيًا أَفْيَحَ، فَذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ بِشَاطِئِ الوَادِي، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَىٰ إِحْدَاهُمَا، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا ، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالبَعِيرِ المَخْشُوشِ، الَّذِي يُصَانِعُ قَائِدَهُ، حَتَّىٰ أَتَىٰ الشَّجَرَةَ الأُخْرَىٰ، فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا، فَقَالَ: «انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ» فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَذَلِكَ، ثم قَالَ: «التَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللهِ» فَالتَأَمَتَا، قَالَ جَابِرٌ: فَخَرَجْتُ أُحْضِرُ مَخَافَةَ أَنْ يُحِسَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُرْبِي فَيَبْتَعِدَ فَجَلَسْتُ أُحَدِّثُ نَفْسِي، فَحَانَتْ مِنِّي لَفْتَةٌ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مُقْبِلًا، وَإِذَا الشَّجَرَتَانِ قَدِ افْتَرَقَتَا، فَقَامَتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَلَىٰ سَاقٍ».

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لَا يَأْتِي البَرَازَ حَتَّىٰ يَتَغَيَّبَ ، فَلَا يُرَىٰ ، فَنَزَلْنَا بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ لَيْسَ فِيهَا شَجَرَةٌ وَلَا عَلَمٌ فَقَالَ: يَا جَابِرُ ، انْطَلِقْ إِلَىٰ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَقُلْ لَهَا: يَقُولُ لَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الحَقِي بِصَاحِبَتِكَ حَتَّىٰ أَجْلِسَ خَلْفَكُمَا فَرَجَعَتْ إِلَيْهَا فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَلْفَهُمَا ، ثُمَّ رَجَعَتَا إِلَىٰ مَكَانِهِمَا».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «خَرَجْنَا ذَاتَ يَوْمٍ إِلَىٰ الجَبَّانَةِ، حَتَّىٰ إِذَا بَرَزْنَا قَالَ رسول الله ﷺ: «انْظُرْ وَيْحَكَ، هَلْ تَرَىٰ مِنْ شَيْءٍ يُوَارِينِي؟» قُلْتُ: مَا أَرَىٰ شَيْئًا يُوَارِيكَ إِلَّا شَجَرَةً مَا أُرَاهَا تُوَارِيكَ. قَالَ: «فَمَا قُرْبُهَا؟» قُلْتُ: شَجَرَةٌ مِثْلُهَا، أَوْ



قَرِيبٌ مِنْهَا. قَالَ: «فَاذْهَبْ إِلَيْهِمَا، فَقُلْ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَجْتَمِعَا بِإِذْنِ اللهِ» قَالَ: فَاجْتَمَعَتَا، فَبَرَزَ لِحَاجَتِهِ، ثُمَّ رَجَعَ، فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَيْهِمَا، فَقُلْ لَهُمَا: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكُمَا أَنْ تَرْجِعَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا إِلَىٰ مَكَانِهَا».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ نَبِيٌّ؟ قَالَ: «إِنْ دَعَوْتُ هَذَا العِذْقَ مِنْ هَذِهِ النَّخْلَةِ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللهِ؟» فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّىٰ سَقَطَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «ارْجِعْ فَعَادَ»، فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ».

يا معشر الإخوة: هكذا تلتف الأشجار لتستر المختار ﷺ حتىٰ يقضي حاجته؛ لأنَّه ﷺ كان أشد الناس حياءً!

هكذا تُظهِر الطاعة والاستجابة لرغبته ﷺ وتحقيق بغيته!

هكذا تُظهِر عظمته وقَدْره عند خالقها ﷻ الذي طوعها وذللها لحبيبه وصفيه مِنْ خلقه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

وقال حكيم بن حزام -وكان يومئذ في جيش قريش-: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَأَخَذَ كَفًّا مِنَ الحَصْبَاءِ فَاسْتَقْبَلَنَا بِهِ، فَرَمَانَا بِهَا، وَقَالَ: «شَاهَتِ الوُجُوهُ» ، فَانْهَزَمْنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧]».

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لما كان يوم بدر قال لي رسول الله ﷺ: «نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ حَصًىٰ»، فَنَاوَلْتُهُ، فَرَمَىٰ بِهِ فِي وُجُوهِ القَوْمِ، فَمَا بَقِيَ فِي القَوْمِ أَحَدٌ

إِلَّا مُلِئَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحَصَىٰ، فَنَزَلَتْ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]».

وقال سلمة بن الأكوع رضي الله عنه -في قصة غزوة حنين-: «فَلَمَّا غَشَوا رَسُولَ اللهِ ﷺ نَزَلَ عَنِ البَغْلَةِ، ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ بِهِ وُجُوهَهُمْ، فَقَالَ: «شَاهَتِ الوُجُوهُ»، فَمَا خَلَقَ اللهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلَّا مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ القَبْضَةِ، فَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ، فَهَزَمَهُمُ اللهُ عز وجل».

وقال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه -في قصة غزوة حنين-: فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إِلَىٰ قِتَالِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ» قَالَ: ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَصَيَاتٍ فَرَمَىٰ بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ» قَالَ: فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإِذَا القِتَالُ عَلَىٰ هَيْئَتِهِ فِيمَا أَرَىٰ، قَالَ: فَوَاللهِ، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ فَمَا زِلْتُ أَرَىٰ حَدَّهُمْ كَلِيلًا، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا».

يا معشر الإخوة: الحجارة الصماء تستجيب لخاتم الأنبياء ﷺ فتذهب في تحقيق بغيته بتعمية عيون أعدائه!

هكذا كانت الأحجار عونًا للمختار في ساحات المسايفة لأعداء الله الصادين المكذبين.

هكذا كانت الأحجار في نصرة سيد الأبرار ﷺ.

فهل نحن اليوم مِنْ أنصاره ضد أعدائه؟ بتطاولهم عليه، بغمزهم ولمزهم في كلامه، وجهاده، ونشرهم للشبهات التي يريدون بِها التعمية علىٰ سنته المطهرة وسيرته العطرة؟!



هل انتصرنا له بأقلامنا، وألسنتا؟

هل انتصر الملوك والأمراء لسيد الأصفياء ﷺ مِنْ أعدائه الشانئين؟

فوا أسفاه أنْ كانت الأحجار أسبق إلىٰ نصرة صفوة الأخيار مِنْ بعض المكلفين العقلاء!

حقًّا إنَّ مِنَ الحجارة لَمَا يَشَقَّقُ مِنْ خشية الله.. ويهرع لنصرة رسول الله.

وقال البراء بن عازب ﵁: «لَمَّا كَانَ حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَحْفِرَ الخَنْدَقَ عَرَضَ لَنَا فِي بَعْضِ الجَبَلِ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَدِيدَةٌ، لَا تَدْخُلُ فِيهَا المَعَاوِلُ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمَّا رَآهَا أَخَذَ المِعْوَلَ وَأَلْقَىٰ ثَوْبَهُ، وَقَالَ: «بِاسْمِ اللهِ»، ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الحُمْرَ السَّاعَةَ»، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثًا آخَرَ فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قَصْرَ المَدَائِنِ الأَبْيَضَ»، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «بِاسْمِ اللهِ»، فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الحَجَرِ، وَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ اليَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ»».

هكذا عادت الصخرة العاتية كثيبًا أَهْيل طاعة لرسول الله ﷺ بإقدار الله تعالىٰ خالقها وخالق الكون سبحانه وتعالىٰ.

لقد كانت الكُدْيَةَ التي عرضت لرسول الله ﷺ مستصعبة حتىٰ ضربها رسول الله ﷺ بالمِعول فانهالت، إيذانًا بانهيال الأمر وتسهله بعد صعوبته، وأنَّ الخندق لم يبق بعده شدة، وأنَّ الصعوبة تسهلت.





**تأدبها وتعظيمها وإجلالها لرسول الله ﷺ**

لمَّا بَلَغَ رسول الله ﷺ الثانية عشرة مِنْ عمره المبارك ارتحل به عمه أبو طالب إلىٰ الشام «فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَىٰ بَحِيرا الرَّاهِبِ هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمُ الرَّاهِبُ وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ وَلَا يَلْتَفِتُ». قَالَ: «فَهُمْ يَحُلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمُ الرَّاهِبُ حَتَّىٰ جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ العَالَمِينَ، هَذَا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، يَبْعَثُهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: مَا عِلْمُكَ، فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ مِنَ العَقَبَةِ لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا وَلَا يَسْجُدَانِ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ مِثْلَ التُّفَّاحَةِ».

يا معشر الإخوة: لم يأمرنا الله تعالىٰ ولا رسوله ﷺ أنْ نسجد له ﷺ في حياته ولا بعد وفاته!

لكن الله تعالىٰ أمرنا بالخضوع لأمره ﷺ، والانقياد لحكمه، والتسليم لأمره ونهيه!

لقد أمرنا بتعظيمه في نفسه الشريفة، وتعظيم كلامه المطهر، وأخباره الطاهرة.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الآنَ».

يا معشر الإخوة: هذا حجر يسلم علىٰ رسول الله ﷺ!

فكم هي صلاتنا وسلامنا عليه؟

هل يسبقنا حجر ونحن بشر؟!

اللهم حبب إلينا هذه الطاعة الجليلة واجعلها علىٰ ألسنتنا أحلىٰ من الشهد!

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «جَاءَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ يُدَاوِي وَيُعَالِجُ فَقَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ تَقُولُ أَشْيَاءَ فَهَلْ لَكَ أَنْ أُدَاوِيكَ؟ قَالَ: فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ لَهُ: «هَلْ لَكَ أَنْ أُرِيكَ آيَةً؟» وَعِنْدَهُ نَخْلٌ وَشَجَرٌ. قَالَ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَذْقًا مِنْهَا فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَسْجُدُ وَيَرْفَعُ، وَيَسْجُدُ وَيَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَيْهِ فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ. ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ارْجِعْ إِلَىٰ مَكَانِكَ» فَرَجَعَ إِلَىٰ مَكَانِهِ فَقَالَ: وَاللهِ لَا أُكَذِّبُكَ بِشَيْءٍ تَقُولُهُ بَعْدَهَا أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ: يَا عَامِرُ بْنَ صَعْصَعَةَ إِنِّي وَاللهِ لَا أُكَذِّبُهُ بِشَيْءٍ يَقُولُهُ بَعْدَهَا أَبَدًا. قَالَ: وَالعَذْقُ: النَّخْلَةُ».

يا معشر السامعين: عَذْقُ نخلة يسجد تعظيمًا ويرفع شكرًا وعرفانًا لرب العالمين ﷻ الذي بعث محمدًا رحمة للعالمين!

يا للعجب.. عَذْقُ جماد يبادر وإنسان يكاذب ويجادل!

وحين بَلَغَ الثانية والخمسين مِنْ ميلاده الثانية عَشْرة مِنْ بعثته أراد الله تعالىٰ تشريفه بالوفادة إليه في رحلة الإسراء والعروج.. أشرف سفرة عرفها الخلق، و«أُتِيَ ﷺ بِالبُرَاقِ مُسْرَجًا مُلْجَمًا فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ ﷺ: أَبِمُحَمَّدٍ ﷺ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَو الله مَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمُ عَلَىٰ اللهِ مِنْهُ- قَالَ ﷺ: فَارْفَضَّ البُرَاقُ عَرَقًا».

إنَّه عرق الخجل والحياء مِمَّا ناله في حضرة خاتم الأنبياء ﷺ.

وحين هبط الجن يستعمون تلاوته ﷺ للقرآن أخبرته بقدومهم شجرة من شجر ذلك الوادي الذي كان يرتل فيه ﷺ.

هكذا كانت الأشجار عونًا للمختار ﷺ، طاعة، ومحبة، وتعظيمًا!

ومِنْ أعظم هذه الأخبار وأوقعها في قلوب المؤمنين، وأقرعها لعقول المحبين! خبر الجذع الذي كان رسول الله ﷺ يخطب عليه في مسجده الشريف في أوَّل الهجرة.

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَىٰ نَخْلَةٍ فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: إِنْ شِئْتُمْ! فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَىٰ المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ، قَالَ: كَانَتْ تَبْكِي عَلَىٰ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا».

وفي لفظ: «كَانَ المَسْجِدُ مَسْقُوفًا عَلَىٰ جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَىٰ جِذْعٍ مِنْهَا، فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ المِنْبَرُ وَكَانَ عَلَيْهِ فَسَمِعْنَا لِذَلِكَ الجِذْعِ صَوْتًا كَصَوْتِ العِشَارِ حَتَّىٰ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا فَسَكَنَتْ».

وقال أُبَيُّ بن كعب رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي إِلَىٰ جِذْعٍ وَيَخْطُبُ إِلَيْهِ إِذْ كَانَ المَسْجِدُ عَرِيشًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: أَلَا نَجْعَلُ لَكَ عَرِيشًا تَقُومُ عَلَيْهِ يَرَاكَ النَّاسُ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَتُسْمِعُ مِنْ خُطْبَتِكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ» فَصُنِعَ لَهُ الثَّلَاثُ دَرَجَاتٍ، هُنَّ اللَّوَاتِي عَلَىٰ المِنْبَرِ، فَلَمَّا صُنِعَ المِنْبَرُ وَوُضِعَ فِي مَوْضِعِهِ الَّذِي وَضَعَهُ فِيهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ: «فَلَمَّا جَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُرِيدُ المِنْبَرَ مَرَّ عَلَيْهِ، فَلَمَّا جَاوَزَهُ، خَارَ الجِذْعُ حَتَّىٰ تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَمَسَحَهُ بِيَدِهِ حَتَّىٰ سَكَنَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ المِنْبَرِ» قَالَ: فَكَانَ إِذَا صَلَّىٰ، صَلَّىٰ إِلَيْهِ فَلَمَّا هُدِمَ

المَسْجِدُ أَخَذَ ذَلِكَ الجِذْعَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّىٰ بَلِيَ فأكلتْهُ الأَرَضَةُ وَعَادَ رُفَاتًا».

وقال أنس رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَيُسْنِدُ ظَهْرَهُ إِلَىٰ جِذْعٍ فِي المَسْجِدِ فَيَخْطُبُ النَّاسَ، فَجَاءَهُ رُومِيٌّ، فَقَالَ: أَلَا أَصْنَعُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ وَكَأَنَّكَ قَائِمٌ؟ فَصنَعَ لَهُ مِنْبَرًا لَهُ دَرَجَتَانِ، وَيَقْعُدُ عَلَىٰ الثَّالِثَةِ، فَلَمَّا قعَدَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ عَلَىٰ ذَلِكَ المِنْبَرِ، خَارَ الجِذْعُ كَخُوَارِ الثَّوْرِ حَتَّىٰ ارْتَجَّ المَسْجِدُ حُزْنًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ المِنْبَرِ، فَالتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ ، فَلَمَّا التَزَمَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، سَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ ألتَزِمْهُ، لَمَا زَالَ هَكَذَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ حُزْنًا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ»، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَدُفِنَ».

وقال سهل بن سعد رضي الله عنه: «كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِذَا خَطَبَ إِلَىٰ خَشَبَةٍ فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ النَّاسَ قَدْ كَثُرُوا فَلَوِ اتَّخَذْتَ شَيْئًا تَقُومُ عَلَيْهِ إِذَا خَطَبْتَ يَرَاكَ النَّاسُ، فَقَالَ: «مَا شِئْتُمْ» قَالَ سَهْلٌ: وَلَمْ يَكُنْ بِالمَدِينَةِ إِلَّا نَجَّارٌ وَاحِدٌ، ذَهَبْتُ أَنَا وَذَاكَ النَّجَّارُ إِلَىٰ الخَافِقَيْنِ فَقَطَعْنَا هَذَا المِنْبَرَ مِنْ أَثْلَةٍ، قَالَ: فَقَامَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَحَنَّتِ الخَشَبَةُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ لِحَنِينِ هَذِهِ الخَشَبَةِ» فَأَقْبَلَ النَّاسُ وَفَرِقُوا مِنْ حَنِينِهَا حَتَّىٰ كَثُرَ بُكَاؤُهُمْ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّىٰ أَتَاهَا فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، فَسَكَنَتْ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَا فَدُفِنَتْ تَحْتَ مِنْبَرِهِ أَوْ جُعِلَتْ فِي السَّقْفِ».

يا معشر الإخوة: كان الإمام الزاهد الحسن البصري إذا حدث بهذا الحديث بكىٰ ثم قال: يا عباد الله الخشب يَحِنُّ إلىٰ رسول الله ﷺ شوقًا إليه لمكانته مِنَ الله عز وجل، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

نعم لقد ضرب لنا الجذع أروع الأمثلة في الشوق والحنين إلىٰ سيد المرسلين ﷺ.. شوقًا إلىٰ ملامسة جسده الطاهر وسماع كلامه الأطهر!

لم يكن الصحابة رضي الله عنهم يتوقعون أنْ يهتز المسجد بصوت كصوت الإبل الحوامل، وبكاء مثل بكاء الصبي المدلل، ويخرج هذا الصوت الذي هز المسجد مِنْ خشبة يابسة!

ثم تعجبوا ثانية كيف لهذا البكاء أنْ يقف، ولهذا الأنين أنْ يتوقف، ولهذا الاضطراب أنْ يسكن.. ولا سَمْعَ للجذع ولا عقل.. حتىٰ نزل الرحمة المهداة فاعتنق الجذع عناق الوفاء وضمَّه ضَمَّةَ الشكر والإشفاق، التي لو لم تكن لظل الحنين إلىٰ يوم الدين!

فهل سمعت بأشرف مِنَ هذا العناق!

وهل علمت بأكرم مِنْ هذه الضمة الدافئة!

فهو أشرف جذع عرفته الدنيا، وكيف لا يكون كذلك وقد فاز بعناق الصدر الشريف، وضم الساعدين الكريمين.

فيا معشر الإخوة: هل قلوبنا تمتلئ بالشوق إلىٰ رسول الله ﷺ ؟

هل نشتاق إلىٰ سماع كلامه العطر وسيرته العطرة؟

هل نشتاق إلىٰ سماع شمائله الكريمة، وأخلاقه السامية؟

هل نشتاق إلىٰ رؤيته في المنام؟

هل نشتاق إلىٰ رؤية طلعته الكريمة تحت لواء الحمد؟

هل يقبل أحدنا أنْ يسبِقه جذع يابس إلىٰ إظهار الشوق والحنين لسيد المرسلين؟

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ لِآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحْشٌ، فَكَانَ إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اشْتَدَّ، وَلَعِبَ فِي البَيْتِ، فَإِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَكَنَ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُؤْذِيَه».

وفي لفظ: «كَانَ لِآلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَحْشٌ، فَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺلَعِبَ وَاشْتَدَّ، وَأَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، فَإِذَا أَحَسَّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَدْ دَخَلَ، رَبَضَ، فَلَمْ يَتَرَمْرَمْ مَا دَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي البَيْتِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُؤْذِيَهُ».

سبحان الله العظيم.. وحش يتأدب ويسكن في الحضرة النبوية!!

فهل حدثنا أنفسنا بِهذا الأدب عند كلامه ﷺ الذي لا يوافق عقولنا السقيمة وأفهامنا العليلة!! أم أنَّ الوحش أسبق إلىٰ الأدب مِنْ بعض البشر!

يا رب.. ارزقنا أدبًا مع نبيك ﷺ عند كلامه المطهر وأخباره الطاهرة، واجنبنا الاعتراض والامتعاض، واهدنا إلىٰ سواء الصراط.

وقال سفينة مولىٰ رسول الله ﷺ: «رَكِبْتُ البَحْرَ فِي سَفِينَةٍ فَانْكَسَرَتْ فَرَكِبْتُ لَوْحًا مِنْهَا فطَرَحَنِي فِي أَجَمَةٍ فِيهَا أَسَدٌ فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا بِهِ فَقُلْتُ: «يَا أَبَا الحَارِثِ، أَنَا مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ، وَغَمَزَ بِمَنْكِبِهِ، شَقِّي فَمَا زَالَ يَغْمِزُنِي، وَيَهْدِينِي إِلَىٰ الطَّرِيقِ حَتَّىٰ وَضَعَنِي عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَلَمَّا وَضَعَنِي هَمْهَمَ فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُوَدِّعُنِي».

يا للعجب.. أسدٌ يتأدب مع سفينة رضي الله عنه إجلالًا لمن صحبه وخدمه!

فخاب وخسر من ضيع الأدب مع أصحاب رسول الله ﷺ، ورضي الله عنهم.

وقال عبد الله بن قُرْطٍ ﵁: «قُرِّبَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ خَمْسُ بَدَنَاتٍ أَوْ سِتٌّ يَنْحَرُهُنَّ فَطَفِقْنَ يَزْدَلِفْنَ إِلَيْهِ، أَيَّتُهُنَّ يَبْدَأُ بِهَا».

الإبل التي لا تنحر إلا بعد ربط العقال وإحكام الاحتيال ها هي تسابق بعضها لتتشرف بنحر اليد الشريفة لها!

ها هي الإبل تقدم روحها رخيصة بَيْنَ يدي رسول الله ﷺ

فهل حدثنا أنفسنا أنْ نُرْخِصَها بَيْنَ يدي نشر شريعته ﷺ والذب عنها؟

وقال أنس بن مالك ﵁: «خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَىٰ خَيْبَرَ أَخْدُمُهُ فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ رَاجِعًا وَبَدَا لَهُ أُحُدٌ قَالَ: هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ».

«فعلىٰ المرء المسلم أن يحب ما أحب الله ورسوله، فإنا نلتذ بحب جبل أحد لكون النبي ﷺ أحبه».

وقد أظهر الجبل بعض مشاعر الحب لرسول الله ﷺ فحين «صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ أُحُدٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، رَجَفَ بِهِمْ فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ قَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ».

فهذه الهزة هي «هَزَّةُ الطَّرِبِ لَا هَزَّةَ الغَضَبِ».

### شكايتها إليه صلى الله وسلم عليه وزاده كرامة وشرفًا لديه

قال عبد الله بن مسعود ﵁: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا، فَجَاءَتِ الحُمَّرَةُ تَرِفُّ عَلَىٰ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهِيَ تَصِيحُ فَقَالَ ﷺ: «مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا».

يا معشر السامعين: لقد عرف الطائر الذي لا ينْطِقُ ولا يَبِينُ، وليس مِنَ المكلفين.. أين الرحمة! والعطف! والشفقة! والحنان!

وعرف الطائر أين العدل، والبر، والإحسان، فجاء يُعرِّش فوق الجسد الشريف والرأس المَنيف!

وبعض المسلمين لا زال يتسول العدالة مِنْ عُصْبة الأمم الخاسرة!

وقال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما: «أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُخْبِرُ بِهِ أَحَدًا وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ فِي حَاجَتِهِ هَدَفٌ، أَوْ حَائِشُ نَخلٍ، فَدَخَلَ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ! فَلَمَّا رَأَىٰ النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَمَسَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ، فَسَكَنَ، فَقَالَ: مَنْ صَاحِبُ الجَمَلِ؟ فَجَاءَ فَتًىٰ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: أَمَا تَتَّقِي اللهَ فِي هَذِهِ البَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللهُ، إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ».

وقال أنس رضي الله عنه: «كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الجَمَلَ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِمْ، فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ، وَإِنَّ الأَنْصَارَ جَاءُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ نَسْنِي عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ اسْتَصْعَبَ عَلَيْنَا، وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ، وَقَدْ عَطِشَ الزَّرْعُ وَالنَّخْلُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: قُومُوا فَقَامُوا، فَدَخَلَ الحَائِطَ وَالجَمَلُ فِي نَاحِيَتِهِ، فَمَشَىٰ النَّبِيُّ ﷺ نَحْوَهُ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ قَدْ صَارَ مِثْلَ الكَلْبِ الكَلِبِ، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ، فَقَالَ: لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ.

فَلَمَّا نَظَرَ الجَمَلُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَقْبَلَ نَحْوَهُ، حَتَّىٰ خَرَّ سَاجِدًا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَتْ قَطُّ، حَتَّىٰ أَدْخَلَهُ فِي العَمَلِ».

وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «سِرْنَا وَرَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَنَا كَأَنَّمَا عَلَيْنَا الطَّيْرُ تُظِلُّنَا، فَإِذَا جَمَلٌ نَادٌّ حَتَّىٰ إِذَا كَانَ بَيْنَ سِمَاطَيْنِ خَرَّ سَاجِدًا، فَجَلَسَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَقَالَ عَلَيَّ النَّاسَ: «مَنْ صَاحِبُ الجَمَلِ؟» فَإِذَا فِتْيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا: هُوَ لَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَمَا شَأْنُهُ؟». قَالُوا: اسْتَنَيْنَا عَلَيْهِ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَكَانَتْ بِهِ شُحَيْمَةٌ فَأَرَدْنَا أَنْ نَنْحَرَهُ فَنَقْسِمَهُ بَيْنَ غِلْمَانِنَا، فَانْفَلَتَ مِنَّا، قَالَ: «بِيعُونِيهِ» قَالُوا: لَا، بَلْ هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَمَّا لَا فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ».

وقال يعلىٰ بن مرة الثقفي: «ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ رَأَيْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَهُ إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَىٰ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ البَعِيرُ جَرْجَرَ وَوَضَعَ جِرَانَهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «أَيْنَ صَاحِبُ هَذَا البَعِيرِ؟ فَجَاءَ، فَقَالَ: بِعْنِيهِ فَقَالَ: لَا، بَلْ أَهَبُهُ لَكَ. فَقَالَ: لَا، بِعْنِيهِ قَالَ: لَا، بَلْ نَهَبُهُ لَكَ، وَإِنَّهُ لِأَهْلِ بَيْتٍ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ. قَالَ: أَمَا إِذْ ذَكَرْتَ هَذَا مِنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ العَمَلِ، وَقِلَّةَ العَلَفِ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ، قَالَ يعلىٰ: ثُمَّ سِرْنَا فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الأَرْضَ، حَتَّىٰ غَشِيَتْهُ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَىٰ مَكَانِهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ذَكَرْتُ لَهُ. فَقَالَ: هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا فِي أَنْ تُسَلِّمَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَذِنَ لَهَا...».

يا معشر الإخوة: لقد أظهر الجمل تعظيمه وإجلاله لإمام المتقين ﷺ فخرَّ ساجدًا!

عرف الجمل أين الرحمة والعدالة، والأمن والأمان، والسِّلم والسَّلام؛ فوضع شكايته وأهطل دمعه علىٰ صدر البر الرؤوف الرحيم ﷺ.

وبعض المسلمين جهل أو تجاهل هذا... فذهب يركض في سراب الأنظمة الغربية، والدساتير الوضعية، وحرم نفسه بركات شريعة خير البرية ﷺ.

فوا أسفاه..أنْ تسبق الدواب العجماء بعض المكلفين العقلاء.. فتعرف لسراج الظلمات ﷺ حقه وقدره، وتسأل حقوقها مِنْ شريعته السمحاء الخالدة!

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكلام.. أَحِيِ قلوبنا بنور وحيك، وهدي رسولك ﷺ.

اللهم اعمر قلوبنا بِحُبِّكَ وحُبِّ رسولك، واجعل ذلك حجابًا لنا ونورًا وبرهانًا.

اللهم اجعلنا مِنْ أتباعه علىٰ الحق والحقيقة والطريقة القويمة!

اللهم ثبتنا علىٰ سنته، ولا تزغ قلوبنا عن ملته، واحشرنا ووالدينا في زمرته، واسقنا شربة مِنْ حوضه، إنك أنت الكريم الوهاب.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

## المجلس السادس: بركات الصلاة والسلام على خير الأنام ﷺ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المتقين، عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غَفَل عن ذكره الغافلون.

أمَّا بعد: فإنَّ الصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ مِنْ أَبْرَكِ الطاعات، وأنفع العبادات، وأرجىٰ القربات، وهي «سبب لدوام محبته ﷺ وزيادتِها وتضاعُفِهَا، وذلك عَقْدٌ مِنْ عُقود الإيمان الذي لا يَتِمُّ إلَّا به؛ لأنَّ العبد كُلَّمَا أكثر مِنْ ذكر المحبوب، واستحضاره في قلبه، واستحضار محاسنه ومعانيه الحاملة علىٰ حُبّه تضاعف حُبُّهُ له، وتزايد شوقه إليه، واستولىٰ علىٰ جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإخْطارِه وإخْطارِ محاسنه بقلبه، نقص حُبُّهُ مِنْ قلبه، ولا شيء أَقرَّ لعين المُحِبِّ مِنْ رؤية محبوبه، ولا أَقرَّ لقلبه مِنْ ذكره وإخْطارِ محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه، جرىٰ لسانه بمدحه والثناء عليه، وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحس شاهد بذلك».

يا عين إنْ بَعُدَ الحبيبُ ودارُهُ ... ونأت منازله وشطَّ مزارُهُ

فلقد ظفِرتِ من الحبيب بطائل ... إن لم تَرَيْه فهذه آثاره

وهي «سبب لهداية العبد وحياة قلبه؛ فإنَّه كُلَّمَا أكثر الصلاة وذكره، اسْتَوْلت محبته علىٰ قلبه، فلا يبقىٰ في قلبه معارضةٌ لشيء من أوامره، ولا شكٌّ في شيء مما جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوبًا مسطورًا في قلبه، لا يزال يقرؤه علىٰ تعاقب أحواله، ويَقْتَبِس الهُدَىٰ والفلاح وأنواع العلوم منه، وكُلَّمَا ازداد في ذلك بصيرةً وقُوةً ومعرفةً ازدادت صَلاته عليه ﷺ».



والأصل في هذه العبادة العظيمة قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٦].

يا معشر الإخوة: إن الإجماع منعقدٌ علىٰ أنَّ في هذه الآية مِنْ تعظيم النبي ﷺ والتنويه به ما ليس في غيرها، فقد شَرَّف الله بِها رسوله ﷺ حياته وموته، وذَكَرَ منزلته منه، فأخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلىٰ، بأنَّه يُثْنِي عليه عند الملائكة المقربين، وأنَّ الملائكة تصلي عليه. ثم أمر تعالىٰ أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه مِنْ أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا.

وإليكم بعض أسرار هذه الآية العظيمة:

انظروا كيف افتتح الله هذه الآية باسمه العظيم: ﴿ٱللَّهَ﴾؛ لإدخال المهابة والتعظيم في هذا الأمر.

وتدبروا كيف قال ﷻ: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ﴾ «ولم يقل: (والملائكة) إشارةً إلىٰ عظيم قَدْرِهم، ومزيدِ شرفهم بإضافتهم إلىٰ الله تعالىٰ، وذلك مستلزمٌ لتعظيمه ﷺ بما يصل إليه منهم مِنْ جهة أنَّ العظيم لا يصدر منه إلَّا عظيمٌ.

وتدبروا كيف أشار تعالىٰ إلىٰ كثرتِهم، وأنَّ الصلاة مِنْ هذا الجمع الكثير الذي لا يحيط بمنتهاه غيرُ خالقه واصلةٌ إليه ﷺ علىٰ مرورِ الأيام والدهور مع تجدُّدِها كُلَّ وقتٍ وحين، وهذا أبلغُ تعظيمٍ وأنْهاه وأشملُه وأكملُه وأزكاه.

وانظروا كيف قال ﷻ: ﴿يُصَلُّونَ﴾ بالمضارع الدال على التجديد والتكرير؛ ليكون أَمْرُ المؤمنين بالصلاة عليه والتسليم عقب ذلك؛ مشيرًا إلى تكرير ذلك منهم أسوة بصلاة الله وملائكته.

وتأملوا كيف قال ﷻ: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ «فعبَّر بالنبي دون اسمه ﷺ على خلاف الغالب في حكايته تعالى عن أنبيائه عليهم السّلام إشعارًا بما اختصَّ به مِنْ مزيد الفخامة والكرامة وعلوِّ القَدْر».

وفي قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ أمرٌ من الله سبحانه بالصلاة عقب إخباره تعالى بأنَّه وملائكته يصلون عليه. والمعنى أنَّه إذا كان الله وملائكته يصلون على رسوله فصلوا أنتم عليه؛ فأنتم أحق بأنْ تصلوا عليه وتسلموا تسليمًا؛ لما نالكم ببركة رسالته، ويُمْنِ سفارته مِنْ شرف الدنيا والآخرة.

يا معشر الإخوة: إن هذه الطاعة الجليلة هي موئل البركات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة، ومن ذلك:

## البركة الأولى: صلوات قيوم الأرض والسماوات ﷻ

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ عَشْرًا».

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلْيُصَلِّ عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ مَرَّةً صَلَّىٰ اللهُ ﷻ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا».

وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ، إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ مَا صَلَّىٰ عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ العَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ».

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: خرج رسول الله ﷺ، فاتبعته حتىٰ دخل نخلًا فسجد، فأطال السجود حتىٰ خشيت أن يكون الله قد توفاه، فجئت أنظر فرفع رأسه، فقال: «مَا لَكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟» قال: فذكرت ذلك له، فقال: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ لِي: أَلا أُبَشِّرُكَ إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شُكْرًا».

فتدبروا يا معشر الإخوة في عظيم فرح رسول الله ﷺ بِهذه البركة، التي أطال لها سجود الشكر للكريم الوهاب جل جلاله.

واعلموا –رعاكم الله– أن أمر هذه البركة موافق للقاعدة المستقرة في الشريعة: الجزاء مِنْ جِنْسِ العمل؛ فصلاة الله علىٰ المصلي علىٰ رسوله جزاءٌ لصلاته هو عليه... فمَنْ أثنىٰ علىٰ رسول الله ﷺ جَزاه الله مِنْ جِنْسِ عمله؛ بأنْ يُثْنِي عليه ويزيد تشريفه وتكريمه، فصح ارتباط الجزاء بالعمل ومشاكلته له ومناسبته له.

يا معشر الإخوة: إن «غاية مطلوب الأولين والآخرين صلاة واحدة مِنَ الله تعالىٰ، وأنَّىٰ لهم بذلك، بل لو قيل للعاقل: أيهما أحب إليك أن تكون أعمال جميع الخلائق في صحيفتك أو صلاة مِنَ الله تعالىٰ عليك؟ لَمَا اختار غير الصلاة مِنَ الله تعالىٰ، فما ظَنُّكَ بمَنْ يُصلِّي عليه ربنا سبحانه وجميع ملائكته علىٰ الدوام والاستمرار، فكيف يَحْسُنُ بالمؤمن أنْ لا يُكْثِرَ مِنَ الصلاة عليه، أو يغفل عن ذلك».

**البركة الثانية: صلاة ملائكة الرحمن عليهم السلام**

قال رسول الله ﷺ : «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِّي عَلَيَّ، إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ مَا صَلَّىٰ عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ العَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ».

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ صَلَاةً صَلَّىٰ الله عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ سَبْعِينَ صَلَاةً، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ».

يا معشر الإخوة: «ومَنْ صلىٰ اللهُ تعالىٰ عليه وملائكتُه فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز... وإذا حصلت لهم الصلاة مِنَ الله تبارك وتعالىٰ وملائكته وأُخْرِجوا مِنَ الظلمات إلىٰ النور فأيُّ خيرٍ لم يحصل لهم بذلك؟! وأيُّ شرٍّ لم يندفع عنهم؟! فيا حسرة الغافلين عن ربِّهم ماذا حُرِمُوا مِنْ خيره وفضله! وبالله التوفيق».





**البركة الثانية: رفع الدرجات، وكتابة الحسنات، وتكفير السيئات**

قال أبو طلحة رضي الله عنه: أَصْبَحَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَىٰ فِي وَجْهِهِ البِشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَصْبَحْتَ اليَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَىٰ فِي وَجْهِكَ البِشْرُ، قَالَ: «أَجَلْ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا».

**البركة الرابعة: كفاية الهموم وغفران الذنوب**

«كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَىٰ هَمَّكَ، وَيُغْفَرَ لَكَ ذَنْبُكَ».

يا معشر الإخوة: «في هذين الخصلتين جِمَاعُ خير الدنيا والآخرة؛ فإنَّ مَنْ كفاه الله هَمَّه سَلِمَ مِنْ مِحَنِ الدنيا وعوارضها؛ لأنَّ كل مِحنة لا بُدَّ لها مِنْ تأثير الهم وإنْ كانت يسيرة، ومَنْ غَفَرَ الله ذنبه سَلِمَ مِنْ مِحَنِ الآخرة؛ لأنَّه لا يوبق العبد فيها إلَّا ذنوبه».



## البركة الخامسة: النجاة من البخل

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ البَخِيلَ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ».

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَبْخَلَ النَّاسِ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ».

يا معشر الإخوة: إن «البخل بالصلاة علىٰ رسول الله ﷺ أَقْبَحُ بُخْلٍ وأسوأ شُحٍّ، لم يَبق بعده إلَّا بُخْلٌ بكلمة الشهادة».

«فأشار النبي ﷺ إلىٰ تسميةِ مَنْ لم يُصَلِّ عليه ﷺ عند ذكره بخيلًا؛ لأنَّ مَنْ أَحْسَنَ إلىٰ العبد الإحسان العظيم، وحصل له به هذا الخير الجسيم، ثم يُذْكَرُ عنده [المُحْسِن] ولا يثني عليه، ولا يبالغ في حمده ومدحه وتمجيده، ويبدي ذلك ويعيده، ويعتذر مِنَ التقصير في القيام بشكره وحقه؛ عَدَّه الناس بخيلًا لَئِيمًا كَفُورًا، فكيف بمَنْ أدْنىٰ إحسانه إلىٰ العبد يَزِيْدُ علىٰ أعظم إحسان المخلوقين بعضهم لبعض، الذي بإحسانه حصل للعبد خير الدنيا والآخرة، ونجا مِنْ شرِّ الدنيا والآخرة، الذي لا تَتَصوَّر القلوبُ حقيقةَ نعمته وإحسانه، فضلًا عن أنْ يقوم بشكره، أليس هذا المنعم المحسن أحق بأنْ يُعظَّم ويُثْنَىٰ عليه، ويُسْتفْرَغَ الوُسْع في حمده ومدحه إذا ذُكر بَيْنَ الملأ؟ فلا أقلَّ مِنْ أنْ يُصَلَّىٰ عليه مرَّةً إذا ذكر اسمه ﷺ».

## البركة السادسة: إجابة الدعاء

«سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ تَعَالَىٰ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجِلَ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ-أَوْ لِغَيْرِهِ-:

«إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ».

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنْتُ أُصَلِّي وَالنَّبِيُّ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ مَعَهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَدَأْتُ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ، ثُمَّ الصَّلَاةِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ دَعَوْتُ لِنَفْسِي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إنَّ الدعاء موقوف بَيْنَ السماء والأرض لا يصعد منه شيء، حتىٰ تُصلِّي علىٰ نبيك ﷺ».

يا معشر الإخوة: «الصلاة عليه ﷺ عند الدعاء له **ثلاث مراتب**:

**إحداها**: أنْ يُصلي عليه قبل الدعاء، وبعد حمد الله تعالىٰ.

**الثانية**: أنْ يُصلي عليه في أول الدعاء، وأوسطه، وآخره.

**الثالثة**: أنْ يُصلي عليه في أوله وآخره، ويجعل حاجته متوسطة بينهما.

فمفتاح الدعاء الصلاة علىٰ النبي ﷺ كما أنَّ مفتاح الصلاة الطهور، والصلاة علىٰ النبي ﷺ للدعاء بمنزلة الفاتحة من الصلاة».




## البركة السابعة: عرض اسم المصلي على رسول الله ﷺ

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ فِي الأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ، يُبَلِّغُونَنِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ».

وقال رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَإِنَّ اللهَ وَكَّلَ بِي مَلَكًا عِنْدَ قَبْرِي، فَإِذَا صَلَّىٰ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي، قَالَ لِي ذَلِكَ المَلَكُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ صَلَّىٰ عَلَيْكَ السَّاعَةَ».

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَعْطَانِي مَلَكًا مِنَ المَلَائِكَةِ يَقُومُ عَلَىٰ قَبْرِي إِذَا أنا مِتّ، فلا يُصَلِّي عبد عَلَيَّ صَلَاةً إِلَّا قَالَ: يَا محمَّد، فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ يُصَلِّي عَلَيْكَ، يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، فَيُصَلِّي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ مَكَانَهَا عشرًا».

وقال رسول الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ».

## البركة الثامنة: النجاة من الذل والهوان

قال رسول الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ فَانْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الجَنَّةَ».

وفي لفظ: «صَعِدَ النبي ﷺ المِنْبَرَ، فَقَالَ: «آمِينَ آمِينَ آمِينَ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ حِينَ صَعِدْتَ المِنْبَرَ قُلْتَ: آمِينَ آمِينَ آمِينَ، قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا فَلَمْ يَبَرَّهُمَا، فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ، وَمَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ».

يا معشر الإخوة: «قد تقرر أنَّ قولهم: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ» كناية عن غاية الذُّل والهوان، وأنَّ الصلاة على النبي ﷺ هي تعظيمه وتبجيله، فمَنْ عَظَّمَ رسول الله وحبيبه عَظَّمه الله، ورفع قدره في الدارين، ومَنْ لَم يعظمه أذله الله وأهانه، فالمعنى: بَعيدٌ مِنَ العاقل بل مِنَ المؤمن أنْ يتمكن مِنْ إجراء كلمات معدودة على لسانه فيفوز بعشر صلوات من الله ﷻ، وبرفع عشر درجات له، وبِحَطِّ عَشر خَطيئاتٍ عنه، ثُمَّ لَمْ يَغْتَنِمْهُ حتى يفوت عنه، فحقيقٌ بأنْ يُحَقِّرَهُ الله تعالى، ويَضرب عليه الذِّلة والمَسْكَنة، وباء بغضب مِنَ الله تعالى. ومِنَ هذا القبيل عادةُ أكثر الكُتَّاب بأنْ يقتصروا في كتابة الصلاة والسلام على النبي ﷺعلى الرمز».





«وسبب هذا الدعاء أن الصلاة عليه ﷺ كِنَايةٌ عن تعظيمه وتبجيله؛ فمَنْ عَظَّمه عظَّمه الله ورفع قدره، ومن لا.. أذله الله وأهانه؛ لتهاونه بأمر الواسطة الكريمة مِنْ غَيرِ مشقة أصلًا تحصل له لو صلَّىٰ عليه، وتضييعه ما أَعَدَّه الله له في صلاته له، قيل: ويخشىٰ علىٰ الكاتب إذا رَمَزَ للصلاة بصورة (صلعم) أن يندرج في هذا القبيل؛ لتهاونه وقلة أدبه».

**البركة التاسعة: طِيْب المجالس**

قال رسول الله ﷺ : «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، وَصَلَاةٍ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا قَامُوا عَنْ أَنْتَنِ مِنْ جِيفَةٍ».

يا معشر الإخوة: لقد دلَّت هذه البركات عند تركها علىٰ عقوبات، لا يرضاها عابدٌ أوَّاه! منها:

**الأولىٰ:** حرمان صلاة إله الأولين والآخرين، رحمان الدنيا والآخرة، ورحيمهما!

**الثانية:** حرمان صلاة ملائكة الرحمن الكرام عليهم السلام!

**الثالثة:** حرمان سبب عظيم لرفع الدرجات، وكتابة الحسنات، وتكفير السيئات!

**الرابعة:** تتابع الهموم وتكاثرها!

**الخامسة:** حرمان إجابة الدعاء!

**السادسة:** الاتصاف بأقبح أنواع البخل!

**السابعة:** حرمان عرض اسم المصلي علىٰ رسول الله ﷺ

**الثامنة:** الذل والهوان!

**التاسعة:** خُبْثَ المجالس!

اللهم يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام: أَعِنَّا وقوِّنا وتَقَبَّل مِنَّا.

**البركة العاشرة: نيل شفاعة رسول الله ﷺ**

قال رسول الله ﷺ : «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ».

وقال رسول الله ﷺ : «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرًا وَحِينَ يُمْسِي عَشْرًا أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وقال رسول الله ﷺ : «مَنْ صَلَّىٰ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَقَالَ: اللهُمَّ أَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي».

يا معشر الإخوة: «أراد الله سبحانه أن تكون للأمة عنده ﷺ يَدُ خِدمةٍ كما له بالشفاعة عليهم يَدُ نعمة؛ فأمرهم بالصلاة عليه ﷺ ».

### البركة الحادية عشرة: القرب من رسول الله ﷺ يوم القيامة

قال رسول الله ﷺ : «أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي يَوْمَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً».

### البركة الثانية عشرة: الهداية إلى طريق الجنة

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الجَنَّةِ».

وقوله ﷺ : «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ» أي: تركها عند وجود سببها من ذكره ﷺ أو نحوه، وأريد بالنسيان الترك عمدًا من باب قوله تعالىٰ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [سورة التوبة:٦٧].

وقوله ﷺ: «خَطِئَ» بفتح الخاء المعجمة وكسر الطاء وهمز، يقال: خطئ في دينه إذا أثم وأخطأ سلك سبيل الخطأ أو فعل غير الصواب.

وقوله ﷺ: «طَرِيقَ الجَنَّةِ» أي: أخطأ الأعمال الصالحة الموصلة إلىٰ الجنة التي مِنْها الصلاةُ علىٰ رسول الله ﷺ، فتركها البتة تركٌ لطريق الجنة؛ أي: للطريق الموصلة إلىٰ الجنة؛ لأنَّه إذا تركها في الصلاة .. فصلاته غير صحيحة، فلا تقبل منه، فمَنْ لا تُقْبَلُ صلاته .. لا تقبل منه الأعمال الصالحة».

### البركة الثالثة عشرة: الإقالة من العثرة على الصراط

عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه في الحديث الطويل في رؤيا رسول الله ﷺ وفيه قال ﷺ: «وَرَأَيْتُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي يَزْحَفُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ مَرَّةً، وَيَحْبُو مَرَّةً، وَيَتَعَلَّقُ مَرَّةً، فَجَاءَتْهُ صَلَاتُهُ عَلَيَّ فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ فَأَقَامَتْهُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ حَتَّىٰ جَاوَزَ».

**البركة الرابعة عشرة: النجاة من الحسرة يوم القيامة**

قال رسول الله ﷺ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللهِ، وَصَلَاةٍ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا قَامُوا عَلَىٰ أَنْتَنِ مِنْ جِيفَةٍ».

وقال رسول الله ﷺ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ، إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً».

وقال رسول الله ﷺ: «مَا قَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَدًا لاَ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ، وَيُصَلُّونَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ لِلثَّوَابِ».

وقال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ جَلَسُوا مَجْلِسًا ثُمَّ قَامُوا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ ﷻ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الْمَجْلِسُ عَلَيْهِمْ تِرَةً».

## مواطن الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

**يا معشر الإخوة: إن لهذه العبادة العظيمة مواكن شرعها رسول الله ﷺ، وإليكم ما صح من تلك المواطن:**

١) عند ذكره نطقًا أو خطًّا ﷺ.

٢) عند الأذان.

٣) عند دخول المسجد وعند الخروج منه.

٤) في التشهد الأخير.

٥) في صلاة الجنازة.

٦) عند الدعاء.

٧) ليلة الجمعة ويومها.

٨) بعد دعاء القنوت.

٩) في أذكار طرفي النهار.

١٠) في المجالس.

١١) على الصفا والمروة.

١٢) في أوائل الخطب والكتب.

١٣) في خطبة النكاح.

١٤) عند زيارة قبره ﷺ .

## أخطاء في أداء الصلاة والسلام على سيد الأنام ﷺ

وأختم هذا المجلس ببعض أخطاءٍ يقع فيها بعض المسلمين حين أداء عبودية الصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ:

١) الاقتصار علىٰ الصلاة بغير السلام.

٢) زيادة الترحم عليه ﷺ.

٣) استبدال كلمة (صلىٰ الله عليه وسلم) بالرموز القبيحة السخيفة (ص) أو (صلعم).

٤) الصلاة عليه ﷺ عند البيع أو عند التعجب.

٥) العبث في نطقها بما يشبه (صعْ سلَّم)، أو (عَيه الص سلام).

٦) كتابتها بين شرطتين –صلىٰ الله عليه وسلم–

اللهم يا حي يا قيوم: ارزقنا حلاوة هذه العبادة، وبركاتها العاجلة والآجلة، إنك أرحم الراحمين.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام: إن أعمالنا حقيرة، وذنوبنا كثيرة، اللهم فإننا ندخر عندك صلاتنا وسلامنا علىٰ نبينا ﷺ ، ثقل بها موازيننا وكفر بها سيئاتنا، يا غفور يا غفار.

## المجلس السابع: الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء الزوجية

بحمد الله أبتدئ، وإياه أستعين وأستهدي، وهو ولي عصمتي من الزلل، في القول والعمل، وولي توفيقي، لا شريك له، ولا حول ولا قوة إلّا به وهو العزيز الحكيم.

وصلىٰ الله علىٰ مُحَمَّد نبي الرحمة، وهادي الأمة، وخاتِم النبوة، صلاة وسلامًا دائمًا أبدًا كلما ذكره الذاكرون وكلما غفل عن ذكره الغافلون.

ورضي الله عن خلفائه الراشدين وأهل بيته الطيبين وأزواجه أمهات المؤمنين وسائر أصحابه والتابعين لهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد: فهذا مجلس من مجالس السيرة النبوية والأنباء المحمدية علىٰ صاحبها أفضل صلاة وأزكىٰ تحية.

وقبل الشروع في بيان الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء الزوجية نمهد بقطف أزهار من روض سيرته ﷺ مع أهله، لتكون لنا نبراس اهتداء ومعلم اقتداء، والله الهادي إلىٰ سواء الصراط:

عن عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ العَصْرِ دَخَلَ عَلَىٰ نِسَائِهِ، فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ...».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ الصُّبْحَ جَلَسَ فِي مُصَلَّاهُ وَجَلَسَ النَّاسُ حَوْلَهُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ يَدْخُلُ عَلَىٰ نِسَائِهِ امْرَأَةً امْرَأَةً يُسَلِّمُ عَلَيْهِنَّ وَيَدْعُو لَهُنَّ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ إِحْدَاهُنَّ كَانَ عِنْدَهَا...».

وعن أنس قال: «كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ تِسْعُ نِسْوَةٍ، فَكَانَ إِذَا قَسَمَ بَيْنَهُنَّ، لَا يَنْتَهِي إِلَىٰ المَرْأَةِ الأُولَىٰ إِلَّا فِي تِسْعٍ، فَكُنَّ يَجْتَمِعْنَ كُلَّ لَيْلَةٍ فِي بَيْتِ الَّتِي يَأْتِيهَا...».

«كانت زيارة أزواج رسول الله ﷺ له للشوق إلىٰ رسول الله ﷺ وليتعلمن الحكمة، ولئلا تمكث المرأة تسع ليال لا تراه ولا تسمع كلامه».

فهكذا كان رسول الله ﷺ يجلس مع أهله جلوس ملاطفة ومؤانسة لا جلوس مخاشنة ومعاتبة!

وعن عائشة رضي الله عنها أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم: «تَقَدَّمُوا» ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَيْ أُسَابِقْكِ»، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَىٰ رِجْلِي، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «تَقَدَّمُوا» ثُمَّ قَالَ: «تَعَالَيْ أُسَابِقْكِ» وَنَسِيتُ الَّذِي كَانَ وَقَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ فَقُلْتُ: كَيْفَ أُسَابِقُكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا عَلَىٰ هَذِهِ الحَالِ؟ فَقَالَ: «لَتَفْعَلِنَّ، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي» فَقَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ».

وعن أنس رضي الله عنه أَنَّ جَارًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ كَانَ طَيِّبَ المَرَقِ، فَصَنَعَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ جَاءَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ: «وَهَذِهِ؟» لِعَائِشَةَ، فَقَالَ: لَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا»، فَعَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَهَذِهِ؟»، قَالَ: لَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا»، ثُمَّ عَادَ يَدْعُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَهَذِهِ؟»، قَالَ: نَعَمْ فِي الثَّالِثَةِ، فَقَامَا يَتَدَافَعَانِ حَتَّىٰ أَتَيَا مَنْزِلَهُ».

يا معشر الإخوة: دَلَّ هذا الخبر الشريف علىٰ أنَّ كريم النفس إذا كان معه صاحب له أو رفيق جالس فإنَّه لا يستحب له أنْ ينفرد عنه بطعام طيب دون أنْ يشركه فيه، لأنَّ ذلك الرجل لمَّا أراد أنْ يستدعي رسول الله ﷺ وحده وقد كان

عند عائشة لم يذهب حتىٰ أخذ رفيقته معه؛ وكَرِهَ ﷺ الاختصاص بالطعام دونَها وهذا مِنْ جميل المعاشرة وحقوق المصاحبة وآداب المجالسة المؤكدة.

وفيه بيان ظاهر علىٰ أنَّ رسول الله ﷺ كان بريئًا مِنَ الكبر، ومِنْ نخوة الجاهلية؛ فإنَّه بعد أنْ رَدَّه الرجل مرتين أجابه في الثالثة.

وموجز أخلاقه ﷺ مع نسائه علىٰ النحو التالي:

١) القَسْم العادل في المبيت.

٢) القرعة بينهن إذا أراد سفرًا.

٣) تصريحه ﷺ بحب أهله.

٤) الملاطفة في الطعام والشراب.

٥) القرب مِنْ أزواجه ﷺ.

٦) إعانته ﷺ لأهله في بعض شؤون البيت.

٧) مشاورته ﷺ مع أهله.

٨) عنايته ﷺ بجمال مظهره الخارجي في جسمه ولباسه.

فهكذا كان ﷺ خير الناس لأهله كما قال ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».

وفي هذا الحديث تنبيه علىٰ أنَّ أعلىٰ الناس رتبة في الخير وأحقهم بالاتصاف به هو مَنْ كان خير الناس لأهله، فإنَّ الأهل هم الأحق بالبِشْرِ وحُسن الخلق والإحسان وجلب النفع ودفع الضر، فإذا كان الرجل كذلك فهو خير الناس، وإنْ كان علىٰ العكس مِنْ ذلك فهو في الجانب الآخر مِنَ الشر، وكثيرًا ما

يقع الناس في هذه الورطة، فترىٰ الرجل إذا لقي أهله كان أسوأ الناس أخلاقًا وأجشعهم نفسًا وأقلهم خيرًا، وإذا لقي غير الأهل من الأجانب لانت عريكته وانبسطت أخلاقه وجادت نفسه وكثر خيره، ولا شك أنَّ مَن كان كذلك فهو محروم التوفيق زائغ عن سواء الطريق، نسأل الله السلامة».

والآن إلىٰ تبيين بعض الأساليب النبوية في إصلاح الأخطاء الزوجية والله الموفِّق والمستعان.

### الأسلوب الأول: أسلوب التغاضي والابتسامة!

عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ كَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَجَاءَتْ زَيْنَبُ، فَمَدَّ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ: هَذِهِ زَيْنَبُ، فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ يَدَهُ، فَتَقَاوَلَتَا حَتَّىٰ اسْتَخَبَتَا، وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، فَمَرَّ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ ذَلِكَ، فَسَمِعَ أَصْوَاتَهُمَا، فَقَالَ: اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللهِ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، وَاحْثُ فِي أَفْوَاهِهِنَّ التُّرَابَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: الآنَ يَقْضِي النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، فَيَجِيءُ أَبُو بَكْرٍ فَيَفْعَلُ بِي وَيَفْعَلُ، فَلَمَّا قَضَىٰ النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، أَتَاهَا أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهَا قَوْلًا شَدِيدًا، وَقَالَ: أَتَصْنَعِينَ هَذَا...».

فهكذا تغاضىٰ ﷺ عن الخصومة وذهب إلىٰ صلاته.

ودَلَّ الحديث علىٰ حسن مداراة النبي ﷺ أزواجه وصبره عليهن، فيعلم كل إنسان أنَّ هذا مِنْ أفضل العبادة فإنْ بُلِيَ رجل بمثل هذا بَيْنَ امرأتين له فلا ينبغي أنْ يخرج عن التأسي برسول الله ﷺ، وليتسلَّ بأنَّه قد جرىٰ لنساء رسول الله ﷺ وهن مِنْ أفضل نساء العالمين.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا، فَلَمَّا دَخل تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا، وَقَالَ: أَلَا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْجِزُهُ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُغْضَبًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ «كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ؟» قَالَ: فَمَكَثَ أَبُو بَكْرٍ أَيَّامًا، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَوَجَدَهُمَا قَدِ اصْطَلَحَا، فَقَالَ لَهُمَا: أَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ فَعَلْنَا قَدْ فَعَلْنَا».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: زَارَتْنَا سَوْدَةُ يَوْمًا فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَهَا إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ فِي حِجْرِي، وَالأُخْرَىٰ فِي حِجْرِهَا، فَعَمِلْتُ لَهَا حَرِيرَةً- وهو نوع من الطعام- فَقُلْتُ: كُلِي، فَأَبَتْ فَقُلْتُ: «لَتَأْكُلِي، أَوْ لَأُلَطِّخَنَّ وَجْهَكِ، فَأَبَتْ، فَأَخَذْتُ مِنَ القَصْعَةِ شَيْئًا فَلَطَّخْتُ بِهِ وَجْهَهَا، فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رِجْلَهُ مِنْ حِجْرِهَا تَسْتَقِيدُ مِنِّي، فَأَخَذَتْ مِنَ القَصْعَةِ شَيْئًا فَلَطَّخَتْ بِهِ وَجْهِي، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَضْحَكُ...».

وعن فاطمة الخزاعية قالت: سمعتُ عَائِشَةَ تَقُولُ: دَخَلَ عَلَيَّ يَوْمًا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: أَيْنَ كُنْتَ مُنْذُ اليَوْمِ؟ قَالَ: «يَا حُمَيْرَاءُ كُنْتُ عِنْدَ أُمِّ سَلَمَةَ» فَقُلْتُ: مَا تَشْبَعُ مِنْ أُمِّ سَلَمَةَ؟ قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، أَلَا تُخْبِرُنِي عَنْكَ ، لَوْ أَنَّكَ نَزَلْتَ بِعُدْوَتَيْنِ ، إِحْدَاهُمَا لَمْ تُرْعَ ، وَالأُخْرَىٰ قَدْ رُعِيَتْ ، أَيُّهُمَا كُنْتَ تَرْعَىٰ؟ قَالَ: «الَّتِي لَمْ تُرْعَ» قُلْتُ: فَأَنَا لَسْتُ كَأَحَدٍ مِنْ نِسَائِكَ ، كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِكَ قَدْ كَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ غَيْرِي، قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ».

يا معشر الإخوة: التغاضي والتغافل مِنْ أخلاق الأكابر والعظماء وهو مِمَّا يعين علىٰ استبقاء المودة واستجلابِها، وعلىٰ وأد العداوة وإخلاد المباغضة مِنَ الصدور.

قال عثمان بن زائدة: «العَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، تِسْعَةٌ مِنْهَا فِي التَّغَافُلِ»، قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، فَقَالَ: «العَافِيَةُ عَشَرَةُ أَجْزَاءٍ، كُلُّهَا فِي التَّغَافُلِ».

واعلموا يا معشر الإخوة–سددكم الله –أنَّ من لم يعاشر الناس علىٰ لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه، وترك التوقع لما يأتون من المحبوب كان إلىٰ تكدير عيشه أقرب منه إلىٰ صفائه، وإلىٰ أن يدفعه الوقت إلىٰ العداوة، والبغضاء أقرب منه أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء».

ومما أجاد فيه الشاعر أبو تمام الطائي:

لَيْسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المُتَغَابِي

**الأسلوب الثاني: أسلوب الحوار والإقناع:**

عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «كَانَ بِعَيْنِ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا خُضْرَةٌ فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا هَذِهِ الخُضْرَةُ بِعَيْنِكَ؟» فَقَالَتْ: قُلْتُ لِزَوْجِي إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَىٰ النَّائِمُ قَمَرًا وَقَعَ فِي حِجْرِي فَلَطَمَنِي وَقَالَ: تُرِيدِينَ مَلِكَ يَثْرِبَ. قَالَتْ: فَمَا كَانَ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَتَلَ أَبِي وَزَوْجِي، فَمَا زَالَ يَعْتَذِرُ إِلَيَّ وَيَقُولُ: «يَا صَفِيَّةُ إِنَّ أَبَاكِ أَلَّبَ عَلَيَّ العَرَبَ وَفَعَلَ وَفَعَلَ» قالت صفية: حَتَّىٰ ذَهَبَ ذَاكَ مِنْ نَفْسِي.

أيها الأحبة: انظروا كيف غيَّر الحوار الحال من شدة البغض إلىٰ رسوخ الحب، فكن محاورًا حكيمًا ولا تكن محاربًا عنيفًا.

وقالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ مَتَاعِي فِيهِ خَفٌّ، وَكَانَ عَلَىٰ جَمَلٍ نَاجٍ، وَكَانَ مَتَاعُ صَفِيَّةَ فِيهِ ثِقَلٌ، وَكَانَ عَلَىٰ جَمَلٍ ثِقَالٍ بَطِيءٍ يَتَبَطَّأُ بِالرَّكْبِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: حَوِّلُوا مَتَاعَ عَائِشَةَ عَلَىٰ جَمَلِ صَفِيَّةَ، وَحَوِّلُوا مَتَاعَ صَفِيَّةَ عَلَىٰ جَمَلِ عَائِشَةَ حَتَّىٰ يَمْضِيَ الرَّكْبُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ قُلْتُ: يَا لَعِبَادِ اللهِ غَلَبَتْنَا هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ إِنَّ مَتَاعَكِ كَانَ فِيهِ خَفٌّ وَكَانَ مَتَاعُ صَفِيَّةَ فِيهِ ثِقَلٌ، فَأَبْطَأَ بِالرَّكْبِ فَحَوَّلْنَا مَتَاعَهَا عَلَىٰ بَعِيرِكِ، وَحَوَّلْنَا مَتَاعَكِ عَلَىٰ بَعِيرِهَا، قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ؟ قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ، قَالَ: أَوَ فِي شَكٍّ أَنْتِ يَا أُمَّ عَبْدِ اللهِ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ؟ أَفَلاَ عَدَلْتَ؟ وَسَمِعَنِي أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ فِيهِ غَرْبٌ - أَيْ حِدَّةٌ -، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَلَطَمَ وَجْهِي فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺلَم: مَهْلاً يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَمَا سَمِعْتَ مَا قَالَتْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ الغَيْرَىٰ لاَ تُبْصِرُ أَسْفَلَ الوَادِي مِنْ أَعْلاَهُ.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا، قَالَتْ: فَغِرْتُ عَلَيْهِ، فَجَاءَ فَرَأَىٰ مَا أَصْنَعُ، فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا عَائِشَةُ أَغِرْتِ؟» فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَغَارُ مِثْلِي عَلَىٰ مِثْلِكَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَقَدْ جَاءَكِ شَيْطَانُكِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْ مَعِي شَيْطَانٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَعَكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّىٰ أَسْلَمَ».

## الأسلوب الثالث: أسلوب الوعظ والتذكير

قالت عائشة ﵂: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا -تَعْنِي قَصِيرَةً- فَقَالَ ﷺ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ.

وقالت أيضًا: «دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَنَا غَضْبَى، فَأَخَذَ بِطَرَفِ المِفْصَلِ مِنْ أَنْفِي فَعَرَكَهُ، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُوَيِّشُ، قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي، وَأَجِرْنِي مِنَ الشَّيْطَانِ».

وقال أنس ﵁: بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ ﵂ قَالَتْ: إِنَّهَا ابْنَةُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكِ؟» فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي ابْنَةُ يَهُودِيٍّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّكِ ابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ»، فَقَالَ: «اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ».

والمراد بأبيها هارون ﵇ فإن نسبها يرتقي إليه وهو أخو كليم الرحمن موسىٰ ﵇، فهو عمها، وتحت نبي أي: زوجها رسول الله ﷺ.

وفي مرض وفاته ﷺ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نِسَاؤُهُ. فَقَالَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ: أَمَا وَاللهِ يَا نَبِيَّ اللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الَّذِي بِكَ بِي. فَغَمَزْنَهَا أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبْصَرَهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فقال: مَضْمِضْنَ مَضْمِضْنَ. فَيَقُلْنَ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: مِنْ تَغَامُزِكُنَّ بِصَاحِبَتِكُنَّ. وَاللهِ إِنَّهَا لَصَادِقَةٌ» .

ومعنىٰ مضمضن: طهرن أفواهكن بالمضمضة لتطهير خَبَثِ التغامز!



**الأسلوب الرابع: أسلوب العتاب والغضب:**

قالت عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَكَدْ يَسْأَمُ مِنْ ثَنَاءٍ عَلَيْهَا وَاسْتِغْفَارٍ، فَذَكَرَهَا ذَاتَ يَوْمٍ فَاحْتَمَلَتْنِي الغَيْرَةُ فَقُلْتُ: لَقَدْ عَوَّضَكَ اللهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ قَالَتْ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا وَسَقَطْتُ فِي جِلْدِي فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنْ أَذْهَبْتَ غَضَبَ رَسُولِكَ عَنِّي لَمْ أَعُدْ لِذِكْرِهَا بِسُوءٍ مَا بَقِيتُ قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا لَقِيتُ قَالَ: «كَيْفَ قُلْتِ وَاللهِ لَقَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَآوَتْنِي إِذْ رَفَضَنِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرُزِقَتْ مِنِّي الوَلَدُ حَيْثُ حُرِمْتُمُوهُ» قَالَتْ: فَغَدَا وَرَاحَ عَلَيَّ بِهَا شَهْرًا».

وقالت أيضًا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَثْنَىٰ عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، قَالَتْ: فَغِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشِّدْقِ، قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: «مَا أَبْدَلَنِي اللهُ ﷻ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ ﷻ وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ».

وقالت عائشة رضي الله عنها: دَخَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ امْرَأَةٌ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِطَعَامٍ، فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنَ الطَّعَامِ وَيَضَعُ بَيْنَ يَدَيْهَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ لَا تَغْمُرْ يَدَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ العَهْدِ، أَوْ حِفْظَ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ» ، وَلَمَّا ذَكَرَ خَدِيجَةَ أَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ النِّسَاءَ مِنَ الغَيْرَةِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِكَبِيرَةِ السِّنِّ حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَغَضِبَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «مَا ذَنْبِي أَنْ رَزَقَهَا اللهُ مِنِّي الوَلَدَ، وَلَمْ يَرْزُقْكِ؟ قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَذْكُرُهَا بَعْدَ هَذَا إِلَّا بِخَيْرٍ.

وفي لفظ عنها رضي الله عنها: «يَا رَسُولَ اللهِ اعْفُ عَنِّي عَفَا اللهُ عَنْكَ، وَاللهِ لَا تَسْمَعُنِي أَذْكُرُ خَدِيجَةَ بَعْدَ هَذَا اليَوْمِ بِشَيْءٍ تَكْرَهُهُ».

يا معشر الإخوة: انظروا إلىٰ تنوع أساليب رسول الله ﷺ في التربية، وغضبه لمقام خديجة رضي الله عنها، ووفاءه لها وهي تحت الأجداث فصلىٰ الله وسلم عليه ما اتصلت عين بنظر وما سمعت أذن بخبر.

ورضي الله عن أم المؤمنين عائشة كيف تركت غيرتها لرضا رسول الله ﷺ.

## الأسلوب الخامس: أسلوب القضاء العادل:

قال أنس رضي الله عنه: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَىٰ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ» ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّىٰ أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَىٰ الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المَكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ.

## الأسلوب السادس: أسلوب التأديب بالأصابع:

قالت عائشة رضي الله عنها: لَمَّا كَانَتْ لَيْلَتِي الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِيهَا عِنْدِي، انْقَلَبَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ، وَخَلَعَ نَعْلَيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عِنْدَ رِجْلَيْهِ، وَبَسَطَ طَرَفَ إِزَارِهِ عَلَىٰ

فِرَاشِهِ، فَاضْطَجَعَ، فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا رَيْثَمَا ظَنَّ أَنْ قَدْ رَقَدْتُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ رُوَيْدًا، وَانْتَعَلَ رُوَيْدًا، وَفَتَحَ البَابَ فَخَرَجَ، ثُمَّ أَجَافَهُ رُوَيْدًا، فَجَعَلْتُ دِرْعِي فِي رَأْسِي، وَاخْتَمَرْتُ، وَتَقَنَّعْتُ إِزَارِي، ثُمَّ انْطَلَقْتُ عَلَىٰ إِثْرِهِ، حَتَّىٰ جَاءَ البَقِيعَ فَقَامَ، فَأَطَالَ القِيَامَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ انْحَرَفَ فَانْحَرَفْتُ، فَأَسْرَعَ فَأَسْرَعْتُ، فَهَرْوَلَ فَهَرْوَلْتُ، فَأَحْضَرَ فَأَحْضَرْتُ، فَسَبَقْتُهُ فَدَخَلْتُ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنِ اضْطَجَعْتُ فَدَخَلَ، فَقَالَ: «مَا لَكِ؟ يَا عَائِشُ، حَشْيَا رَابِيَةً» - أي مالكَ قد وقع عليك الحَشَىٰ، وهُوَ الرَّبْو والنَّهيجُ وارْتِفاعُ النَّفَسِ وتَواتُره-قَالَتْ: قُلْتُ: لَا شَيْءَ، قَالَ: «لَتُخْبِرِنِّي أَوْ لَيُخْبِرَنِّي اللَّطِيفُ الخَبِيرُ» قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَأَخْبَرْتُهُ، قَالَ: «فَأَنْتِ السَّوَادُ الَّذِي رَأَيْتُ أَمَامِي؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَلَهَدَنِي فِي صَدْرِي لَهْدَةً أَوْجَعَتْنِي، ثُمَّ قَالَ: «أَظَنَنْتِ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟» قَالَتْ: مَهْمَا يَكْتُمِ النَّاسُ يَعْلَمْهُ اللهُ، نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي حِينَ رَأَيْتِ، فَنَادَانِي، فَأَخْفَاهُ مِنْكِ، فَأَجَبْتُهُ، فَأَخْفَيْتُهُ مِنْكِ، وَلَمْ يَكُنْ يَدْخُلُ عَلَيْكِ وَقَدْ وَضَعْتِ ثِيَابَكِ، وَظَنَنْتُ أَنْ قَدْ رَقَدْتِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَكِ، وَخَشِيتُ أَنْ تَسْتَوْحِشِي، فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَأْتِيَ أَهْلَ البَقِيعِ فَتَسْتَغْفِرَ لَهُمْ..

فتدبر في قولها: (رويدًا رويدًا)، لتأخذ بِهذا الأدب السَّامي.

وتدبر في حواره ﷺ لها عن سبب خروجه والمانع مِنْ إيقاظها واصطحابِها.

ثم ابتسِم لخروجها رضي الله عنها ! ووقوفها خلفه ﷺ، وإسراعها إلىٰ البيت وما جرىٰ بعد ذلك.

وكُلُّ ذلك منها لعظيم حبها لرسول الله ﷺ، وتعلق قلبها به ﷺ، ورضي الله عنها وأرضاها.

## الأسلوب السابع: أسلوب الهجر

وأظهر مواطن هذا الأسلوب إيلاءُ رسولِ اللهِ ﷺ مِنْ نسائه شهرًا، ولا خلاف في وقوعه، وهو متواترٌ في زُبُرِ السيرة النبوية، وطُروس التفسير، ورُقومِ السُّنَّةِ المطهرة، برواياتٍ مختلفةٍ، وأسبابٍ أربعةٍ:

**الأول**: تحريم شُربِ العسل.

**الثاني**: تحريمِ جاريته مارية القبطية.

**الثالث**: ردِّ زينب بنت جحش نصيبها من هدية جاءته ﷺ، فقالَ: «زيدوهَا...» ثلاثًا، كلُّ ذلك تردُّه!

**الرابعِ**: سؤالهن الزيادة في النفقة.

والمظنون أن يكون مجموع هذه الأشياء كان سببًا لاعتزالهن، بل هو اللائق بمكارم أخلاقه ﷺ وسعة صدره وكثرة صفحه، وأنَّ ذلك لم يَقَعْ منه حتىٰ تكرَّرَ مُوجِبُه منهنَّ رضي الله عنهن.

وكان هذا الإيلاء في سنة تسع من الهجرة بغير خلاف.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا اطَّلَعَ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ كَذَبَ كَذْبَةً لَمْ يَزَلْ مُعْرِضًا عَنْهُ حَتَّىٰ يُحْدِثَ لِلَّهِ التَّوْبَةَ».

يا معشر الإخوة: هذه بعض الأساليب النبوية في إصلاح الأخطاء الزوجية، وفيها المواعظ والعبر عملًا بقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:٢١]

## مِنْ عِبَرِ هذا العَرْضِ

**الأولىٰ:** عظمة حِلم رسول الله ﷺ وسَعة صدره، فأسعد الناس به ﷺ أشبههم به في الحلم وسعة الصدر.

**الثانية:** عظمة تواضع رسول الله ﷺ لأهله، وهو الذي ركب البراق واعتلىٰ السبع الطباق، فمهما عَلَا أحدنا في رتب الدنيا ..فلن يبلغ مثقال ذرة مِنْ عظمة رسول الله ﷺ، وعليه فنحن أحرىٰ بالتواضع وخفض الجناح، ولين الجانب.

**الثالثة:** سمحاته ﷺ بالمرأة لا سيَّما في وقت الغيرة من ضرائرها، ولهذا يقع الصفح لأجل الغيرة؛ لأنَّ مَنْ يقع لها الغيرة لا تكون في كمال عقلها فلهذا تَبدُر منها أمور لا تَبدر منها في حال عدم الغيرة.

**الرابعة:** أنَّ البيوت لا تخلو مِنْ بعض الخصام والاختلاف، فليوطن العبد نفسه علىٰ وضع الدواء النافع علىٰ الداء بالحكمة والرحمة، وليعلم أنَّ الحياة لا تصفو مِنْ بعض الكدر:

طُبِعَتْ عَلَىٰ كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ... صَفْوًا مِنَ الأَقْذَارِ وَالأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا ... مُتَطَلِّبٌ فِي المَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

فلو صفت الحياة مِنَ الأكدار لصفت لصفوة الله المختار ﷺ، فلنا فيه كل السلوة والأسوة.

**الخامسة**: أنَّ صلاح البيوت لن يكون إلَّا بمنهاج خاتم الأنبياء وأكبر الحكماء ﷺ، فمَنْ أراد صلاح أهله وسعادة عيشه، وراحة باله في بيته فليتضرع بَيْنَ يدي الله الكريم الوهاب أنْ يصلح أهله وذريته، وليترسم خُطا هادي البشر ﷺ، والله الموفِّق والمستعان.

**السادسة**: أنَّ ما وقع مِنْ بعض أمهات المؤمنين إنَّما كان بمقتضىٰ البشرية والغيرة النسوية، فأصحاب رسول الله ﷺ وإنْ كان الإيمان يجري في عروقهم كجريان الدم، إلَّا أنَّهم بشر، فلا نعتقد فيهم العصمة، ولا نلصق بهم التهمة، بل نترضىٰ عنهم ونرتضيهم، ونحبهم كما أحبهم رسول الله ﷺ، ونذكرهم بالجميل. عملًا بقول الله تعالىٰ:

﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحشر:١٠]

**السابعة**: أنَّ سيرة رسول الله ﷺ حافلة بضروب الاقتداء وأنواع الاتساء في كل شؤون الحياة، فحريٌّ بالمسلم والمسلمة أنْ يَجعل له وِرْدًا منها قراءةً أو سماعًا أو دراسةً؛ لِتُعْمَرَ البيوت والعقول بنور السراج المنير ﷺ، فهي أكمل سيرة، وأعطر، وأحلىٰ وأعلىٰ، وأجلىٰ، وأضوء، وأنور وألذ، وأمتع سيرة بشرية، كيف وهي سيرة رحمة الله، ونور الله في هذا الكون، فبيتٌ فيه سيرة رسول الله فيه النور والحبور والفرح والسرور، والله الهادي إلىٰ سواء الصراط.

اللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام انفعنا بِما سمعنا، واسلك بنا سبيل الطاعة والاتباع.

اللهم اعمر بيوتنا بِهدي رسول الله، واصرف همم شبابنا إلىٰ سيرته وسنته، واجعلنا وإياهم مِنْ أهله وخاصته.

اللهم اجمعنا بجسده كما جمعت قلوبنا علىٰ محبة سيرته وأخباره، واكتب لنا ولوالدينا شفاعته، وشربةً مِنْ حوضه، يا سميع الدعاء.

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.



## المجلس الثامن: أحزان رسول الله ﷺ على فراق أهله وأحبته

الحمد لله الذي أضحك وأبكىٰ، وبالأحزان سوَّىٰ، بَيْنَ العقلاء والنوكىٰ، فله الحمد في الآخرة والأولىٰ.

وأُصلِّي وأسلم صلاة وسلامًا دائمي النماء، تملأ الأرض والسماء، علىٰ أشرف مَنْ شَرِبَ صَوْبَ الماء، وعلىٰ آله الكرماء، وأصحابه النجباء، ومَنْ بِهم تأسىٰ واقتدىٰ.

**أما بعد**: فهذا جمع لأحداث الحزن التي أصيب بِها رسول الله ﷺ بفقد أحبته، منذ مهد طفولته إلىٰ قبيل وفاته؛ أردت برقمها تسليةً لكل محزون، وتصبيرًا لكل مصاب، وجبرًا لكل مَهيض الجناح، مِمَّن فقد الأحبة النُّصاح، والأصدقاء الأقحاح، وذوي القربىٰ المِلاح، الذين طار نسيم ذكراهم العطرة وفاح، وولَّت برحيلهم الأفراح، وحلَّتِ الأتراح.

فعسىٰ أن يكون لهم في هذا الجمع سَلوة، وبه أسوة، ومنه قدوة، فيصبرون علىٰ ما أصيبوا، وينطلقون فيما أمروا، وينتظرون ما به وعدوا، مِنْ وافر الخلَف، وحُسن العاقبة في الدنيا والآخرة.

فحين تتابعت الأحزان علىٰ رسول الله ﷺ بفقد أحبته مِنَ العهد المكي إلىٰ آخر العهد المدني، بقي كالطود الأشم، يُسرج مشاعل الهداية للناس، حتىٰ لحق بربه.

فلم يجزع ولم يتسخط، ولم يضعف ولم يتخبط، إنما حزن فصابر، وأصيب فثابر، وكُلِمَ فرابط.

فهاك بيان تتابع الأحزان علىٰ إمام المتقين ﷺ:

## وفاة والده ﷺ عبد الله بن عبد المطلب

ولد عبد الله بن عبد المطلب في مكة، ولما بدأ السعي ملَك قلب والده حبًّا وعطفًا وحنانًا، ولما نذر أن يذبح أحد أبناءه العشرة وظلت القرعة تطلع علىٰ ابنه عبد الله المخصوص بكمال حبه وحنانه.. ففداه بذبح مئة من الإبل؛ ليهنأ به شابًّا وكهلًا وشيخًا!

ثم زوجه بكرًا مِنَ كرائم البيوتات القرشية، فتاة بني زهرة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة، وعاش الفتىٰ المرموق المحبوب والفتاة الشريفة أيامًا معدودات- لم تتجاوز عند أكثر المؤرخين عشرة أيام- وقد شاء الله أنْ تكون الأيام العشرة هي عمر الحياة الزوجية في هذا الزواج المبارك!

وفي هذه الأيام المعدودة حملت السيدة الشريفة آمنة بسيد هذه الأمة، وقد ادخرها العزيز الحكيم لأعظم أمومة في التاريخ!

ولم يَطُلِ المُقام بالفتىٰ الشاب عبد الله مع زوجته آمنة بنت وهب، فقد خرج في تجارة إلىٰ الشام وترك الزوجة الحبيبة، وما درىٰ أنَّها علقت بالنسمة المباركة، وقضىٰ الزوج المكافح مدة في تصريف تجارته، وفي أوبته عرَّج علىٰ أخوال أبيه عبد المطلب وهم بنو النجار بالمدينة، فوافق أنْ مرض عندهم، فبقي وعاد رفاقه، ووصل الركب إلىٰ مكة، وعلم منهم عبد المطلب بخبر مرضه، فأرسل أكبر بنيه:

الحارث ليرجع بأخيه بعد شفائه، وما إنْ وصل الحارث إلىٰ المدينة حتىٰ علم أنَّ أخاه قد مات، ودفن بِها في دار النابغة من بني النجار، فرجع حزين النفس علىٰ فقد أخيه، وأعلم أباه بموت الغائب الذي لا يؤوب، وأثار النبأ الموجع الأحزان في نفس الوالد الشيخ المفجوع في فقد أحب أولاده إليه، وألصقهم بنفسه، وأثار الأسىٰ والحسرة في نفس الزوجة التي كانت تحلم برجوع الزوج الحبيب، وتبدَّد ما كانت تعلِّل به نفسها مِنْ سعادة وهناءة في كنف الزوج الفتىٰ الكريم.

توفي عبد الله بن عبد المطلب ورسول الله ﷺ حمل في بطن أمه، وعلىٰ هذا السواد الأعظم من أهل العلم، والباب مبسوط في «الإسعاد...» جعله الله ذخرًا ليوم المعاد.

وهكذا الأحزان تستقبل سيد ولد عدنان ﷺ! فما أنْ أدرك أخبار هذه الحياة إلا ونَمىٰ إلىٰ سمعه أنَّ أباه قد رحل عنه.. فلا شم ولا ضم ولا تقبيل ولا عطف ولا حنان.. فدوحة هذه المشاعر قد ودعته وهو في بطن أمه، وفي الله العِوض وحسن الخلف!

### حزنه ﷺ على والدته: آمنة بنت وهب

لما بلغ رسول الله ﷺ السادسة مِنْ عمره ارتأت أمّه أنْ تذهب به إلىٰ أخوال جده عبد المطلب بالمدينة مِنْ بني النجار، ليرىٰ مكانة هؤلاء الأخوال الكرام، وقد كان لهذه الخؤولة شأنها لمَّا هاجر فيما بعد إلىٰ المدينة، وليقضيا حق الحبيب المغيَّب رمْسه في تراب المدينة، وأغلب الظن أنْ تكون الأم حدَّثت ابنها



بقصة أبيه، ومفارقته الدنيا وهو في شَرْخِ شبابه، وأنَّ الابن تاقت نفسه إلىٰ البلد الذي ضم رُفَات الأب.

وخرجت الأم والابن ومعهما أم أيمن بركة الحبشية جارية أبيه، ووصل الركب إلىٰ المدينة. وكان المُقام في دار النابغة مِنْ بني النجار، ومكثوا عندهم شهرًا، وزاروا الحبيب الثاوي في قبره، وحرَّكت الزيارة لواعج الشوق والأحزان في نفس الأم والابن، وطُبع معنىٰ اليتم في نفس النبي ﷺ بعد أن كان لاهيًا عنه.

وبعد أن قضوا حاجات النفس عاد الركب إلىٰ مكة، وفي الطريق بَيْنَ المدينة ومكة مرضت الأم، وحُمَّ القضاء، ودفنت بقرية (الأبواء)، وجلس الابن يذرف الدمع سخينًا علىٰ فراق أمه، التي كان يجد في كنفها الحب، والحنان، والسلوىٰ، والعزاء عن فقد الأب، وهكذا شاء الله سبحانه للنبي ﷺ- ولمَّا يجاوز السادسة- أنْ يذوق مرارة فقد الأبوين.

تقول أم أيمن: رأيت محمدًا يطوف حول سرير أمه وهو يبكي!

## حزنه ﷺ على جده: عبد المطلب بن هاشم

السيد الشريف المطاع، مُقَدَّمُ قريش، ومُلْتَقىٰ وفاق رأيهم، وصاحب السقاية، ووالي الرِّفادةِ بالبيت العتيق.

بعد فاجعة وفاة والدة رسول اللهِ ﷺ وهو ابن ست سنين، قَدِمَتْ به بركة الحبشية، التي كانت رفيقة أمه في رحلتها إلىٰ المدينة، فسَلَّمتْه إلىٰ جده العَطوفِ الحَنونِ فأصبح جليسه وأنيسه، يرعاه ويُعنَىٰ بأمره، استعاض به رسول الله ﷺ ما فَقَدَه من حنان أبويه، فاقترن اسمه باسم جده، حتىٰ كان السائل يسأل: أيكم ابن

عبد المطلب؟ وكانت تلك الصحبة حاضرة في ذهنه ﷺ حتىٰ في ساحاتِ المسايفة، وميادين القتال، حين تقاصَرتِ الخُطَا، وتقلَّصتِ الخُصىٰ، في حُنينٍ:

أنــــا النبــــيُّ لا كَـــــذِبْ        أنــــا ابـــنُ عبـــدِ المطلِـــبْ

أمضىٰ رسولُ اللهِ ﷺ تحت رعاية جده المترعة بالحنان عامين، ثم توفي عبد المطلب، بعد ثمان مِنْ ميلاده ﷺ علىٰ القول الأظهر وعليه الأكثر.

وهكذا لم تدم الفرحة في قلبه ﷺ بحنان جده.. فعاد الحزن علىٰ القلب الشريف، وأضحىٰ يذرف دموع الفراق الأليم.

تقول أم أيمن: رأيت محمدًا يطوف حول سرير جده وهو يبكي!

وحُقَّ له أن يبكي وقد كان استعاض به ما فقده مِنْ حنان أبويه!

وهكذا بلغ رسول الله ﷺ أعلىٰ ذروة اليتم بفقد أبويه وجده أشفق الخلق علىٰ المخلوق!

وفي الله العِوض وحُسنُ الخلف، فهو خير حافظًا وهو أرحم الراحمين.

**حزنه ﷺ على ولديه القاسم، وعبد الله عليهما السلام**

ولد القاسم عليه السلام في العام التاسع والعشرين مِنْ ميلاد رسول الله ﷺ.

ففرح به ﷺ، وبه كان يكنىٰ فهو أبو القاسم ﷺ، وبعد أقل مِنْ عامين أطلَّ حزن فراق الولد فِلْذة الكبد وغصن الفؤاد.

وهكذا انتقل ﷺ مِن مسح دموع حزن فراق الوالد إلىٰ مسح دموع حزن فراق الولد!



وفي العام الحادي والأربعين من ميلاد رسول الله ﷺ. أطلت عليه فرحة ولادة فِلْذة كبده وغصن فؤاده عبد الله، المسمىٰ بالطيب والطاهر!

وما إنْ بدأ يتناسىٰ حزن فراق القاسم عليه السلام بِشَمِّ عبد الله وضَمِّه وتقبيله إلَّا وإذا بالحزن يضرب بسياطه القلب الشريف المقدس، ويُسيل دموع العينين الزهراوين!

فكفكف ﷺ دموعه صابرًا محتسبًا، وانطلق يبلغ رسالة الله الخالدة!

**عام الحزن؛ بفقده ﷺ خديجة ؓ وعمه أبي طالب**

لما فشا الإسلام في مكة المكرمة ورأىٰ أئمة الكفر مِنْ قريش أمر رسول الله ﷺ يعلو، اجتمعوا وتقاسموا علىٰ الكفر، بإجماعهم علىٰ أنْ يتعاقدوا علىٰ مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، حتىٰ يسلموا إليهم رسول الله ﷺ، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب مؤمنهم وكافرهم إلَّا أبا لهب، فإنه ظاهر قريشًا علىٰ رسول الله ﷺ وبني هاشم وبني المطلب، وحُبس رسول الله ﷺ ومَنْ معه في الشِّعب شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع مِنْ البعثة، وبقوا محبوسين ومحصورين مضيقًا عليهم جدًّا مقطوعًا عنهم الغذاء والدواء نحو ثلاث سنين، حتىٰ بلغهم الجهد، والتجأوا إلىٰ أكل الأوراق والجلود، وسُمِعَ أصوات صبيانِهم بالبكاء مِنْ وراء الشعب، وكان أبو طالب يخاف علىٰ رسول الله ﷺ، فكان إذا أخذ الناس مضاجعهم يأمر رسول الله ﷺ أنْ يضطجع علىٰ فراشه، حتىٰ يرىٰ ذلك مَنْ أراد اغتياله، فإذا نام الناس أمر أحد بنيه أو إخوانه أو بني عمه فاضطجع علىٰ فراش رسول الله ﷺ، وأمره أن يأتي بعض فُرُشِهم.

وكانت قريش في ذلك بَيْنَ راضٍ وكاره، فسعىٰ في نقض الصحيفة مَن كان كارهًا لها، وكان القائم بذلك هشام بن عمرو بن الحارث مشىٰ في ذلك إلىٰ المُطعِم بن عدي وجماعة مِنْ قريش فأجابوه إلىٰ ذلك، ومُزقت الوثيقة الظالمة، وخرج أهل الشعب، ومنهم أبو طالب وخديجة، قد هدهم الحصار، وأنْهك





قواهم طغيان قريش، مع تقادم السن، وخرور السن، وقد جعل الله لكل شيءٍ سببًا:

ومَنْ لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الأسباب والموت واحد

عاش أبو طالب وخديجة رضي الله عنها بعد الخروج مِنْ شعب أبي طالب، نحو ستة أشهر ثم رحلا عن هذه الحياة؛ ليواجه رسول الله ﷺ عناءً جديدًا عُرِفَ عند أهل السيرة قاطبة بـ عام الحزن؛ لأنَّه أطلَّ بفقد مشفقين عظيمين:

**الأول: مشفق الظاهر**: أبي طالب بن عبد المطلب، عم رسول الله وناصره، ومانعه مِنْ عدوان قريش.

وكان رسول الله ﷺ حريصًا جدَّ الحرص علىٰ إيمان عمه، وأنْ يُخْتم له بالحسنىٰ؛ ليُكرم بالزلفىٰ، ولكنَّ شياطين الإنس مِنْ قريش وعُنْجُهية الجاهلية حالت بَينه وبَيْن ذلك.

ولكثرة ما قرأت مِنْ مواطنه العجيبة في نصرة رسول الله والذود عنه بالنفس والنفيس، تمنيتُ لو أنَّ شيخ قريش أبا طالب أسلم؛ لعلمي أنَّ رسول الله ﷺ كان يحب ذلك، ولكنْ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦]، وقد نَزَلَتْ فيه باتفاقٍ.

**الثاني: مشفق الباطن**: السيدة الجليلة المَهيبة في قومها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها وأرضاها، وجعل جنات الفردوس منقلبها ومثواها، وقد فعل ذلك لا محالة، بخبر الصادق المصدوق، حين بشرها ببيت في الجنة مِنْ قصب، لا صخب فيه، ولا نصب.

كانت خديجة بنت خويلد أول مَنْ آمن بالله، وصدقت ببعثة رسول الله مطلقًا. وخير مَن آزره علىٰ أمره، فكان لا يسمع مِنَ المشركين شيئًا يكرهه مِنْ رَدٍّ عليه وتكذيب له إلَّا فرج الله عنه بِها، تثبته وتصدقه، وتخفف عنه، وتُهوِّن عليه ما يلقىٰ مِنْ قومه، وتُشجِّعُه علىٰ المُضِيِّ في سبيلِ ما هو بصَدَدِه، فاجتَمعتْ علىٰ رسولِ اللهِ ﷺ مُصيبَتان، فلَزِمَ بيتَه وأَقلَّ الخروجَ، وأظلمت عليه مكة بفجاجها وأرجائها، فاتجه شطر مدينة الطائف، وعرض علىٰ زعماء قبائلها أن يحل عندهم حتىٰ يبلغ رسالة الله تعالىٰ، فاتفقت كلمتهم علىٰ المقولة الخاسرة: اخرج مِنْ بلدنا!

فخرج متجهًا إلىٰ مكة وتذكر ظلمتها بفراق المشفقين البارِّين به ﷺ، فاتجه إلىٰ الحي القيوم بدعاء تشرق عليه أنوار النبوة فقال:

«اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقِلَّة حيلتي وهواني علىٰ الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي، إلىٰ من تَكِلُني؟ إلىٰ بعيد يتجهَّمني؟ أو إلىٰ عدو ملَّكته أمري؟ إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي، غيرَ أنَّ عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلماتُ وصَلَح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك أو ينزلَ بي سخطُك؛ لك العُتْبىٰ حتىٰ ترضىٰ، ولا حول ولا قوة إلا بك».

يا معشر الإخوة: تلك هي الأحزان التي تتابعت علىٰ رسول الله ﷺ بفراق أهله وأحبته في مكة!

وبعد هذه الأحزان المتتابعة- مع صبر ومصابرة وعلىٰ تبليغ رسالة الله مثابرة، بثبات كالشم الأطواد- هاجر إمام المتقين ﷺ إلىٰ المدينة التي ادَّخَر الله تعالىٰ لها

هذا الشرف الخالد فكانتْ مهاجر صفوة البشر ﷺ ومستوطن جسده حيًّا وميتًا، وهناك أيده الله بالأوس والخزرج القبيلتين اليمانيتين أنصار الإسلام، وليوث الصدام، وأهل المشاهد العظام في نصرة سيد الأنام ﷺ.

ولكنَّ عجلة الأحزان علىٰ قلب رسول الله ﷺ لم تتوقف، ودموع الحزن لم تغادر الوجنتين الطاهرتين.. لأنَّ قافلة الأموات لن تقف حتىٰ يرث الله الأرض ومَن عليها، وإليكم أظهر تلك الأحزان علىٰ رسول الله ﷺ بفراق أهله وأحبته!

### حزنه ﷺ على عثمان بن مظعون رضي الله عنه

عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي من سادة المهاجرين، ومن أولياء الله المتقين، الذين فازوا بوفاتهم في حياة نبيهم، فصلىٰ عليهم.

أسلم بعد ثلاثة عشر رجلًا، وهاجر الهجرتين، وصلىٰ إلىٰ القبلتين، وجاهد تحت لواء رسول الله ﷺ.

دخل شهر شعبان سنة ثلاث من الهجرة ونزل مرض الوداع وألم الفراق بعثمان، ورحل إلىٰ الله تعالىٰ علىٰ عمل صالح وصراط مستقيم.

ودَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ حِينَ مَاتَ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ جَثَا الثَّانِيَةَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ جَثَا الثَّالِثَةَ ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَلَهُ شَهِيقٌ، فَعَرَفُوا أَنَّهُ يَبْكِي فَبَكَىٰ الْقَوْمُ فَقَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ.. اذْهَبْ أَبَا السَّائِبِ، فَقَدْ خَرَجْتَ مِنْهَا وَلَمْ تَلْبَسْ مِنْهَا بِشَيْءٍ».

وقالت عائشة رضي الله عنها: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ، ثُمَّ بَكَىٰ حَتَّىٰ رَأَيْتُ الدُّمُوعَ تَسِيلُ عَلَىٰ وَجْنَتَيْهِ».

ولمَّا دُفِنَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ قَالَ ﷺ لِرَجُلٍ: «هَلُمَّ تِيكَ الصَّخْرَةَ أَضَعُهَا عَلَىٰ قَبْرِ أَخِي أَتَعَلَّمُهُ بِهَا، أُدْنِ إِلَيْهِ مَنْ دَفَنْتُ مِنْ أَهْلِي»، فَقَامَ الرَّجُلُ إِلَيْهَا فَلَمْ يَسْتَطِعْهَا قَالَ المُخْبِرُ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ بَيَاضِ سَاعِدَيْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ احْتَمَلَهَا حَتَّىٰ وَضَعَهَا عِنْدَ قَبْرِهِ!

## حزنه ﷺ على ابنته رقية

ولدت البَضْعَةُ النبوية رقية ابنة سيد البشر ﷺ في العام الثالث والثلاثين من ميلاده ﷺ.

ولما بُعِثَ رسول الله ﷺ نالت شرف الإيمان بأبيها سيد البشر ﷺ.

وبعد البعثة بسنوات قليلة زُفَّتِ البضعة الكريمة إلىٰ السيد الشريف الوجيه عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ثم هاجرت مِنْ مكة .. خاضت البحر فألقاها في الحبشة .. وخاضته مرةً ثانية فتهادىٰ بِها حتىٰ وضعها بَيْنَ يدي والدها العطوف الحنون ﷺ وما كادت تَسْتَنْشِقُ نسيم العطف والحنان حتىٰ أطاح بِها المرض فهي طريحة الفراش والوجع!

رسول الله ﷺ يزورها ويسأل عنها ويوصي زوجها الحزين بملازمتها، ثم خرج ﷺ إلىٰ وقعة بدر، فماتت رقية ووالدها بعيد منها! ماتت قبل أن ترىٰ والدها وتطمئن علىٰ سلامته!

ماتت رقية قبل أن يصل زيد بن حارثة بخبر النصر في بطشة بدر!

هكذا هي الحياة لم تَصْفُ لصفوة الخلق ﷺ!

لم تصفُ لحبيب الله!



فالحزن والمعاناة جزء من حياته! يفقد ابنته الشابة ويصبر ويحتسب! ويتوهج بوعد الله فيخفف عن غيره مصيبته ولوعته علىٰ رغم ما هو فيه، ويقول لعثمان: «لَكَ أَجْرُ رَجُلٍ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمُهُ».

## حزنه ﷺ على عمه حمزة بن عبد المطلب

الإمام، البطل، الضرغام، أسد الله، أبو عمارة، وأبو يعلىٰ القرشي، الهاشمي، المكي، ثم المدني، البدري، الشهيد.

عَمُّ رسول الله ﷺ وأخوه مِنَ الرَّضاعة، مِنْ جهتين: ثُويبة، وحليمة.

ولد قبل النبي ﷺ بسنتين. وقيل: بأربع. وأسلم في السَّنَةِ الثانية من البعثة، ولازم نصرة رسول الله ﷺ وهاجر معه.

وفي وقعة أحد قاتل حمزة قتال الأبطال، وأطاح برؤوس الصناديد، ثم كَمَن له وحشي، فرماه بالحربة فوقعت في أسفل بطنه.

وخرج رسول الله ﷺ يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادي قد بُقِرَ بطنه عن كبده، ومُثِّل به فجُدِعَ أنفه، وأذناه، فحزن عليه رسول الله ﷺ، فلما رأىٰ المسلمون حزن رسول الله ﷺ وغيظه علىٰ من فعل بعمه ما فعل قالوا: «وَٱللهِ لَئِنْ أَظْفَرَنَا اللهُ بِهِمْ يَوْمًا مِنْ الدَّهْرِ لَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنْ العَرَبِ».

ولَمَّا وقف رسول الله ﷺ علىٰ حمزة قال: «لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَدًا، مَا وَقَفْتُ مَوْقِفًا قَطُّ أَغْيَظَ إِلَيَّ مِنْ هَذَا».

وَوَضَعَ النبي ﷺ حمزة فصلىٰ عليه، ثم جِيءَ برجل فوضع فصلىٰ عليهما جميعًا، ثم رفع الرجل، وجيء بآخر، فما زال يفعل كذلك حتىٰ صلىٰ يومئذٍ علىٰ حمزة سبعين صلاة.

ثم أمر رسول الله ﷺ بحمزة فدفن في أحد، وقبره معروف حتىٰ اليوم.

«ولَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أُحُدٍ سَمِعَ لِأَهْلِ المَدِينَةِ نَحِيبًا وَبُكَاءً، فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» قِيلَ: الأَنْصَارُ تَبْكِي عَلَىٰ قَتْلَاهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ»، فَبَلَغَ ذَلِكَ الأَنْصَارَ فَجَمَعُوا نِسَاءَهُمْ، وَأَدْخَلُوهُمْ دَارَ حَمْزَةَ يَبْكِينَ عَلَيْهِ فَسَمِعَهُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا هَذَا؟» فَقِيلَ: إِنَّ الأَنْصَارَ حِينَ سَمِعُوكَ تَقُولُ: «لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ جَمَعُوا نِسَاءَهُمْ يَبْكِينَ عَلَيْهِ» فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْأَنْصَارِ خَيْرًا، وَنَهَاهُمْ عَنِ النِّيَاحَةِ».

وبقي جُرح فراق حمزة في قلبه ﷺ حتىٰ إنه لَمْ يُطِقْ أَنْ ينظر إلىٰ قاتله، فبعد فتح مكة قدم وحشي قاتل حمزة علىٰ رسول الله ﷺ فلما رآه ﷺ قال له: «آنْتَ وَحْشِيٌّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟ قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ، قَالَ: فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟ قَالَ: فَخَرَجْتُ».

رضي الله عن أسد الله، وأسد رسوله، سيد الشهداء، وخير أعمام المصطفىٰ ﷺ حمزة بن عبد المطلب.

### حزنه ﷺ على السبعين من أصحابه القراء

قال أنس بن مالك: «جَاءَ نَاسٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: أَنِ ابْعَثْ مَعَنَا رِجَالًا يُعَلِّمُونَا القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُمْ: القُرَّاءُ،

فِيهِمْ خَالِي حَرَامٌ، يَقْرَءُونَ القُرْآنَ، وَيَتَدَارَسُونَ بِاللَّيْلِ يَتَعَلَّمُونَ، وَكَانُوا بِالنَّهَارِ يَجِيئُونَ بِالمَاءِ فَيَضَعُونَهُ فِي المَسْجِدِ، وَيَحْتَطِبُونَ فَيَبِيعُونَهُ، وَيَشْتَرُونَ بِهِ الطَّعَامَ لِأَهْلِ الصُّفَّةِ وَلِلْفُقَرَاءِ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَعَرَضُوا لَهُمْ، فَقَتَلُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا المَكَانَ، فَقَالُوا: اللهُمَّ، بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا، قَالَ: وَأَتَىٰ رَجُلٌ حَرَامًا، خَالَ أَنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فَطَعَنَهُ بِرُمْحٍ حَتَّىٰ أَنْفَذَهُ، فَقَالَ حَرَامٌ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ قَدْ قُتِلُوا، وَإِنَّهُمْ قَالُوا: اللهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قَدْ لَقِينَاكَ فَرَضِينَا عَنْكَ، وَرَضِيتَ عَنَّا».

ولشدة حزنه ﷺ عليهم قنت شهرًا متتابعًا!

قال أنس رضي الله عنه: «قَنَتَ رسولُ اللهِ ﷺ شَهْرًا بَعْدَ الرُّكُوعِ، يَدْعُو عَلَىٰ أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، قَالَ: بَعَثَ أَرْبَعِينَ أَوْ سَبْعِينَ يَشُكُّ فِيهِ مِنَ القُرَّاءِ إِلَىٰ أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ فَعَرَضَ لَهُمْ هَؤُلَاءِ فَقَتَلُوهُمْ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ عَهْدٌ، فَمَا رَأَيْتُهُ وَجَدَ عَلَىٰ أَحَدٍ مَا وَجَدَ عَلَيْهِمْ».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «قَنَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَهْرًا مُتَتَابِعًا فِي الظُّهْرِ وَالعَصْرِ وَالمَغْرِبِ وَالعِشَاءِ وَصَلَاةِ الصُّبْحِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ، إِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الآخِرَةِ، يَدْعُو عَلَىٰ أَحْيَاءٍ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، عَلَىٰ رِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَعُصَيَّةَ، وَيُؤَمِّنُ مَنْ خَلْفَهُ».





**حزنه ﷺ على حبه زيد بن حارثة، وابن عمه جعفر بن أبي طالب، وشاعره المنافح عنه عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم**

خيَّم رسول الله ﷺ في خيبر بعد إبرام الصلح مع يهود، فقدم بقية المهاجرين من أرض الحبشة، ومعهم السيد، الشهيد، الكبير الشأن، علم المجاهدين، ورأس المهاجرين إلىٰ الحبشة، جعفر بن أبي طالب، وقد سُرَّ رسول الله ﷺ بقدومهم، وتلقىٰ جعفرًا فعانقه، وقبل جبهته ثم قال: «وَاللهِ لَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ».

وفي شهر جمادىٰ الأولىٰ مِنَ السَّنَةِ الثامنة من الهجرة عَقَدَ رسول الله ﷺ لواء هذه السرية للقائد الشهيد زيد بن حارثة، فإنْ أُصيب فالقيادة لجعفر بن أبي طالب، فإنْ أُصيب فالقيادة لعبد الله بن رواحة.

وانطلق الجيش المنصور حتىٰ حط رحله بمُؤْتة الأردنية مِنْ بلاد الشام، وعدده ثلاثة آلاف مقاتل، وهو أكبر حشد لجند الإسلام في ذلك الوقت، وقابلهم جيش يفوقهم عِدَّة وعتادًا بأضعاف-وبالغ بعض المؤرخين فقدره بمئة ألف مع مَنْ التف به مِنْ نصارىٰ العرب في الشام-وقَرَعَتِ الحرب طبولها بَيْنَ الجيشين، وأبلىٰ القادة الأبطال بلاءً حسنًا ولحقوا بربِّهم مضرجين بدماء الشهادة في سبيل الله؛ لإعلاء كلمة الله، ثم آلت القيادة إلىٰ سيف الله ورسوله خالد بن الوليد رضي الله عنه، فاستعمل حُنْكته الحربية وغيَّر نظام الجيش بما ظَنَّ معه الروم أنَّ مددًا قد قَدِمَ لجيش المسلمين؛ فرجعوا طلبًا للإمداد، فرجع خالد بجيش المسلمين، وقد أوحىٰ الله إلىٰ رسوله بشأن هذه السرية، فقام في أصحابه ونعىٰ القادة الأبطال





وعيناه تذرفان، وبشرهم بأنَّ القيادة قد آلت إلىٰ سيف الله ورسوله، وشهد له بالنصر؛ لما أقدم عليه مِنْ خُطة حربية فائقة حفظت بقية الجيش مِنْ الهلاك أمام جيش متضاعف العدة والعدد.

## حزنه ﷺ على ابنته زينب ؓ

ولدت البَضْعَةُ النبوية زينب ؓ في العام السادس والعشرين مِنْ ميلاده ﷺ، فهي بكر أبيها ﷺ، ولما بلغت تزوجت ابن خالتها هالة بنت خويلد، واسمه لقيط بن الربيع اشتهر بأبي العاص.

ولمَّا بُعِثَ رسول الله ﷺ أسلمت زينب ؓ.

ولمَّا وضعت الحرب أوزارها في غزوة بدرٍ جيء بالأسرىٰ ومنهم أبو العاص بن الربيع، ولمَّا علمت زينب بأنَّ زوجها أَسيرٌ وأنَّه لا فِكَاكَ له إلَّا بفدىٰ، أَرسلتْ عقدها الذي تربع علىٰ صدر الصِّدِّيقة الكبرىٰ خديجة بنت خويلد رضوان الله عليه، «فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً وَقَالَ: إنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا مَالَهَا، فَافْعَلُوا، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. فَأَطْلَقُوهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا».

لقد أثار هذا العقد في قلب سيد الأوفياء ﷺ ذكرىٰ حسنة خالدة لخديجة ؓ وزيرة الصدق والبذل للنفس والنفيس، فأحب أن يبقىٰ العقد علىٰ صدر فِلْذة كبده زينب ؓ وفاءً لخديجة بحفظ متاعها ذكرىٰ تعبق في البيت النبوي، وجبرًا لخاطر زينب أن تفقد عقدًا ألبستها إياه أمها الحنون البارة في يوم الزفاف!

وبعد فكاك أبي العاص مِنْ الأَسرِ وعد رسولَ الله ﷺ أن يُخلِي سبيل زينب رضي الله عنها لتفوز بشرف الهجرة إلىٰ أبيها ﷺ والعيش تحت ظلاله ورؤية طلعته الكريمة!

وفي طريق هجرتِها رضي الله عنها لحق بِها بعض الفجرة فعقروا ناقتها فسقطت زينب رضي الله عنها وسقط حملها مِنْ بطنها، فدب إلىٰ جسدها الألم فبقيت تكابده بَيْنَ حِينٍ وآخر، حتىٰ دخل شهر جمادىٰ الأولىٰ مِنَ السَّنَةِ الثامنة مِنَ الهجرة فمرضت مرض الوداع والفراق لأبيها ﷺ ولأختيها فاطمة، وأم كلثوم!

فَخيَّم الحزن علىٰ القلب الشريف مِنْ جديد! وهطلت الدموع الزكية علىٰ الوجنتين الطاهرتين!

وهكذا ما إنْ بدأ الحزن علىٰ فراق رقية يتباعد حتىٰ يأتي حزن فراق زينب فيعود الحزن جَذَعة يُذكِي الجروح ويُدمِع العيون!

ووقف ﷺ علىٰ باب الحجرة التي يُغْسَل فيها جسد زينب يلقي التعليم علىٰ أم عطية فقال: «اغْسِلْنَهَا وِتْرًا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، وَاجْعَلْنَ فِي الخَامِسَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا غَسَلْتُنَّهَا، فَأَعْلِمْنَنِي» قالتْ: فأعلمْناه، فأعطَانا حَقْوَه وقال: «أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ».

وهكذا ودع ﷺ فِلْذة كبده وقد ألبسها كساءً كان يشد به حقوه الطاهر، ليكون نورًا وحجابًا لزينب رضي الله عنها.

## حزنه ﷺ على ابنته أم كلثوم

ولدت البَضْعَةُ النبوية أم كلثوم رضي الله عنها في العام الخامس والثلاثين مِنْ ميلاد أبيها إمام المتقين ﷺ، ثم فازت بشرف الإيمان بأبيها ﷺ والهجرة إليه في المدينة النبوية، والعيش في كهف عطفه وحنانه!

وفي العام الثالث مِنْ الهجرة زُفَّتِ البضعة الطاهرة أم كلثوم إلىٰ ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد وفاة البَضْعَةِ النبوية رقية رضي الله عنها بأشهر معدودة.

وعاشت الطاهرة أم كلثوم في كنف زوجها وتحت ظلال أبيها ﷺ، يعتاض بِها عن فراق إخوانِها: القاسم، وعبد الله، ثم رقية، وزينب!

حتىٰ دخل شهر شعبان سنة تسع مِنَ الهجرة فإذا بالمرض يحط رحله في جسد أم كلثوم رضي الله عنها وكان مرض الوداع وأَلَمُ الفراق لأبيها ﷺ.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ جَالِسًا عَلَىٰ قَبْرِ أُمِّ كُلْثُومٍ فَرَأَيْتُ عَيْنَيْهِ تَدْمَعَانِ».

وهكذا عاد الحزن يضرب بسياطه علىٰ القلب الكريم!

وما إنْ بدأ الحزن يتباعد قليلًا وتخف وطأته بفراق مَنْ سَبَقَ مِنْ ولد ووالد، وصاحب ماجد.. إلَّا وأَطلَّ مِنْ جديد وخَيَّم مِنْ قريب!

## حزنه ﷺ على ابنه إبراهيم عليه السلام

بعد صلح الحديبية الذي كان في شهر ذي القَعْدة سنة ست مِنْ هجرته ﷺ بدأ ﷺ بمراسلة ملوك عصره لدعوتِهم إلىٰ الدين الحق، وكانَ مِمَّنْ شَمِلَهم هذا الإرسالُ: المُقوقِسُ، أَرسلَ إليه رسولُ اللهِ ﷺ برسالةٍ حَمَلَها صاحبُ رسولِ اللهِ

ﷺ حاطبُ بنُ أبي بَلْتعةَ اللَّخْميُّ ﷺ في آخر العام السادس مِنَ الهجرةِ، وعادَ إلىٰ المدينة في أول العام السابعِ مِنَ الهجرة.

ولمَّا وَصَلَ كتابُ رسولِ اللهِ ﷺ إلىٰ المُقَوقِسِ أكرمَ كتابَ رسولِ اللهِ، وأجابه بكتابٍ يدلُّ علىٰ أنَّه لم يُسلِمْ، خوفًا علىٰ الملك، ولو استجاب لدعوة رسول الله ﷺ لَنالَ مُلْكَ الدارين.

وأَرسلَ المُقوقِسُ إلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ بهديةٍ، وهي: مارية، وأختها سِيرِين، وغلامٌ يخدمها اسمه مأبورُ، وألفا مثقالٍ ذهبًا، وعشرين ثوبًا لَيِّنًا، وبَغْلة تسمىٰ: الدُّلْدلُ، وحمارًا اسمه: عُفيرٌ، وغيرُ ذلكَ.

فاتخذ رسول الله ﷺ لِنفسه ماريَةَ سُرِّيَّةً، باتفاقٍ، ووَلَدَتْ له إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ابن سيد ولد آدم محمد بن عبدِ الله بن عبد المطلب ﷺ في شهر ذي الحِجَّة من السَّنةِ الثامنة مِنَ الهجرة، باتفاق العلماء.

وسُرَّ النبيُّ ﷺ بولادته كثيرًا، فخرج يقول مبشِّرًا: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ، فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ».

واستعاض به ﷺ بعض ما فقده بموت أولاده القاسم، وعبد الله، ورقية، وزينب، وأم كلثوم!

ولكن الفرحة لم تدم والسرور لم يستمر -لأنَّ دوام الحال مِنَ المُحَال- فما هي إلَّا أشهر معدودة ودخل شهر ربيعٍ الأول سنة عشر مِنَ الهجرة فإذا بالمرض يَحِلُّ في جسد إبراهيم ليكون مرض الوداع وأَلَمَ الفراق لأبيه ﷺ الذي فَرِحَ لقدومه وأظهر السرور بولادته!

ها هو حزن فراق الأحبة يطل مِنْ جديد؛ يَكْلِمُ القلب ويُجري الدمع علىٰ الوجنتين الطاهرتين وينطق بأعذب كلمات الأسىٰ علىٰ الفراق المر فيقول: «تَدْمَعُ العَيْنُ، وَيَحْزَنُ القَلْبُ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَاللهِ إِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ».

وفي لفظ: «لَوْلَا أَنَّهُ وَعْدٌ جَامِعٌ وَسَبِيلٌ مَأْتِيٌّ، وَأَنَّ الآخِرَ مِنَّا يَلْحَقُ بِالأَوَّلِ لَوَجَدْنَا غَيْرَ الَّذِي وَجَدْنَا، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ، تَدْمَعُ العَيْنُ، وَيَجِدُ القَلْبُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ، وَفَضْلُ رَضَاعِهِ فِي الجَنَّةِ».

وفي لفظ ثالث: «يَا إِبْرَاهِيمُ لَوْلَا أَنَّهُ أَمْرٌ حَقٌّ وَوَعْدٌ صِدْقٌ، وَسَبِيلٌ مَأْتِيَّةٌ، وَأَنَّ أُخْرَانَا سَتَلْحَقُ أُولَانَا لَحَزِنَّا عَلَيْكَ حُزْنًا أَشَدَّ مِنْ هَذَا، وَإِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ تَبْكِي العَيْنُ، وَيَحْزَنُ القَلْبُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ».

## مِنْ عِبَرِ هذا العَرْضِ

**الأولىٰ**: أن الموت حق، فكل نفس ذائقة الموت، فالإنسان بين فاقد أو مفقود!

**الثانية**: أن هذه الحياة الدنيا حافلة بالأحزان، مصدقًا لقول الله تعالىٰ: في كبد ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [سورة البلد: ٤]، فليوطن العبد نفسه علىٰ ذلك، وليستعن بالله تعالىٰ علىٰ كربها وكبدها.

**الثالثة**: أن نعلم أن هذه الحياة لا تصفو من الأكدار والأحزان، ولو صفت لأحد من البشر لصفت لصفوة الله المختار ﷺ، وصدق الشاعر حين قال:

طُبِعَتْ عَلَىٰ كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ... صفوا من الأقذار وَالأَكْدَارِ
وَمُكَلِّفُ الأَيَّامَ ضِدَّ طِبَاعِهَا ... مُتَطَلِّبٌ فِي المَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

وإذا كان الأمر كذلك فلنا في رسول الله ﷺ الأسوة والسلوة.

فمن فقد والده.. فليتذكر أن رسول الله ﷺ فقد والديه وجده ! وهم أشفق الخلق علىٰ المخلوق!

ومن فقد ولدًا.. فقد فقد رسول الله ﷺ ستة من أولاده!

فمهما فقد الإنسان من أحبابه وأقاربه فلن يكون كفقد رسول الله ﷺ لتلك الجماعة من أقاربه وأحبابه!

**الرابعة**: أن لنا في رسول الله ﷺ أسوة في البكاء والحزن لفراق الأحبة، فمنْ حزن وبكىٰ فقد اقتدىٰ برسول الله ﷺ أعلم الخلق بالله، وأخشاهم له، فمن ظن أنَّ البكاء والحزن لفراق الأهل والأحبة نقصًا فهو الناقص في دينه ومروءته؛ لأنَّه لا أتقىٰ من رسول الله ﷺ ولا أكمل منه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

**الخامسة**: أن رسول الله ﷺ حزن وبكىٰ، ولكن لم يرجع الورىٰ، بل مسح الدمع باليسرىٰ ورفع اليمنىٰ مناديًا: قولوا لا إله إلا الله، فصبر وصابر ورابط علىٰ ثغر إبلاغ دعوة الله وإدخال الناس في دين الله أفواجًا، بالحجة والبيان، والسيف والسنان، لم يجف له ريق، ولم يستبهم عليه طريق، لم يزل له قدم ولا خوىٰ له نجم.

فهكذا شأن أتباع رسول الله ﷺ يبكون ويحزنون ولكن لا يتقهقرون ولا ينكصون، بل يصبرون ويصابرون وعلىٰ الثغور يرابطون، فلا يفرطون في شيء من أمر دينهم، ولا يضيعون حقًا من حقوق عباد الله عليهم.

اللهم أعنا وقونا وثبت أقدامنا!

اللهم اكتب أجرنا وضاعف ثوابنا!

اللهم اجبر كسرنا، والطف بنا، وارحم ضعفنا وقلة حيلتنا.

اللهم ارحم من سبقنا من أحبابنا إليك، واجعل قبورهم روضة من رياض الجنات.

اللهم جازهم بالإحسان إحسانًا، وبالإساءة مغفرة ورضوانًا.

اللهم املأ قلبونا أنسًا بك وشوقًا إليك.

اللهم حبب إلينا لقاءك وسهل علينا قضاءك.

اللهم خَلِّصنا من حقوق العباد ولا تخزنا يوم المعاد ...

يا كريم يا رحمان، يا غفور يا غفار، يا رحيم يا تواب.

وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

## فهرس المحتويات

تصدير........................................................ ٥
خطبة المؤلف.................................................. ٦
المجلس الأول: ميلاد رسول الله ﷺ وبعثته عرض وعبر ................ ٨
النسب الشريف.................................................. ٩
الميلاد الشريف ................................................ ٩
الرضاع الطاهر ................................................ ٩
شق الصدر الشريف ............................................. ١٠
وفاة والدة رسول الله ﷺ ........................................ ١١
في حضن جده الحنون............................................ ١٣
في كفالة البطل المقدام........................................... ١٣
شهود حلف الفضول............................................. ١٤
الزواج السعيد.................................................. ١٥
القضاء في وضع الحجر الأسود..................................... ١٧
حفظ الله تعالىٰ رسوله ﷺ قبل البعثة ................................ ١٧
إشراق نور النبوة وشمس الرسالة.................................... ١٨
حراسة السماء حفظًا للوحي........................................ ١٩
الجهر بالدعوة.................................................. ٢٠

الهجرة إلىٰ الحبشة ........................................ ٢١

الحصار الظالم ........................................ ٢٤

عام الحزن ........................................ ٢٧

الرحلة إلىٰ الطائف ........................................ ٢٩

الإسراء والعروج ........................................ ٣١

من عبر هذا العرض لميلاد رسول الله ﷺ وبعثته ........................ ٣٢

المجلس الثاني: الرياض الأنيقة بأوصاف أعضاء خير الخليقة ﷺ ........ ٣٦

اعتدال خَلْقِ رسول الله ﷺ ........................................ ٤٠

صفة قامة رسول الله ﷺ ........................................ ٤١

صفة لون رسول الله ﷺ ........................................ ٤٣

صفة الرأس الـمَنيف: ........................................ ٤٥

صفة الشعر الطاهر: ........................................ ٤٥

موضع الشيب في شَعَره ﷺ: ........................................ ٤٦

صفة الوجه الشريف: ........................................ ٤٧

صفة الجبين الشريف: ........................................ ٤٩

صفة الحاجبين الشريفين: ........................................ ٥١

صفة العينين الشريفتين: ........................................ ٥١

صفة أشفاره ﷺ ........................................ ٥٣

صفة الأنف المنيف: ........................................ ٥٤

صفة الخدين الشريفين: ........................................ ٥٤
صفة الفم الشريف:........................................ ٥٤
صفة اللحية الشريفة:........................................ ٥٧
صفة عنق رسول الله ﷺ:........................................ ٥٧
صفة منكبه الشريف ﷺ:........................................ ٥٨
صفة الصدر الشريف ........................................ ٥٨
صفة الظهر الشريف:........................................ ٥٩
صفة البطن الشريفة:........................................ ٦٠
صفة ذراعي رسول الله ﷺ:........................................ ٦٠
صفة كفَّي رسول الله ﷺ:........................................ ٦١
صفة أصابع رسول الله ﷺ:........................................ ٦٢
صفة ساقَي رسول الله ﷺ:........................................ ٦٢
صفة قَدَمَي رسول الله ﷺ:........................................ ٦٢
من عِبَر هذا العَرْض........................................ ٦٣
المجلس الثالث: شذرات ندية من عبق الهجرة النبوية........................ ٦٥
مِنْ عِبَرِ هذا العَرْضِ:........................................ ٧٨
المجلس الرابع: الجهود النبوية في نشر التوحيد وحماية حماه ............. ٨٢
معالم جهوده ﷺ في نشر التوحيد في مكة:........................... ٨٣

الأول: الدعوة إلىٰ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) .................. ٨٣

الثاني: الدعوة إلىٰ النظر في الآيات الكونية الدالة باعترافهم علىٰ توحيد الربوبية ليلزمهم بعد ذلك بتوحيد الألوهية وإفراد الله بتوحيد العبادة. ................................................. ٨٦

**الثانية: الدعوة بضرب الأمثال.** ................................ ٨٧

**الثالث: الدعوة بالتحدي لهم في معبوداتهم من دون الله.** ........ ٨٨

**الرابع: الدعوة إلى التوحيد خارج مكة** ........................ ٨٩

الخامس: دعوة وفود العرب القادمين في مواسم الحج. ................ ٩٠

معالم جهوده ﷺ في الدعوة إلىٰ التوحيد وصيانته في المدينة ........... ٩٣

**الأول: الدعوة بالسيف والسنان.** ............................... ٩٣

**الثاني: مراسلة عظماء الأمم في عصره ﷺ.** ..................... ٩٤

**الثالث: إرسال الدعاة إلى الأقطار لبث توحيد العزيز الجبار** .... ٩٥

**الرابع: إرسال الأبطال لهدم الأصنام** ........................... ٩٧

الأول: تطهير البيت الإمام من دنس الأصنام. ...................... ٩٧

الثاني: إرسال سيف الله ورسوله خالد بن الوليد رضي الله عنه لهدم العزىٰ. .. ٩٨

الثالث: إرسال القائد البطل سعد بن زيد الأشهلي الأنصاري رضي الله عنه لهدم صنم (مناة) ................................................ ١٠٠

الرابع: إرسال رَجُلِ العَالَم وداهية قريش عمرو بن العاص لهدم صنم سُواع. ................................................ ١٠١

الخامس: إرسال خالد بن الوليد والمغيرة بن شعبة لهدم صنم اللات.
........................................................................ ١٠٣

السادس: إرسال القائد المغوار يوسف هذه الأمة جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه، لِهدم صنم ذي الخَلَصة.................... ١٠٤

الخامس: قطع جذور الغلو في الصالحين.......................... ١٠٦

الأول: تحذيره ﷺ من الغلو فيه فوق ما شرفه الله بالنبوة والرسالة. ١٠٧

الثاني: لعنه لمن اتخذ علىٰ قبور الصالحين مساجد، يحذر مما صنعوا.................................................... ١٠٨

السادس: قطع جذور الشرك في الأسباب.......................... ١٠٩

مِنْ عِبَرِ هذا العَرْضِ:............................................ ١١١

المجلس الخامس: من أخبار الدواب والأشجار والأحجار مع المختار ﷺ.......................................................... ١١٤

شهادتها لرسول الله ﷺ بالرسالة.............................. ١١٤

طاعتها لرسول الله ﷺ........................................ ١١٦

تأدبها وتعظيمها وإجلالها لرسول الله ﷺ......................... ١٢١

شكايتها إليه صلىٰ الله وسلم عليه وزاده كرامة وشرفًا لديه ........ ١٢٧

المجلس السادس: بركات الصلاة والسلام علىٰ خير الأنام ﷺ.......... ١٣١

البركة الأولىٰ: صلوات قيوم الأرض والسماوات ﷻ................ ١٣٣




**البركة الثانية: صلاة ملائكة الرحمن عليهم السلام** ................ ١٣٥

البركة الثانية: رفع الدرجات، وكتابة الحسنات، وتكفير السيئات...... ١٣٦

البركة الرابعة: كفاية الهموم وغفران الذنوب................. ١٣٧

البركة الخامسة: النجاة من البخل.......................... ١٣٨

**البركة السادسة: إجابة الدعاء** .......................... ١٣٨

البركة السابعة: عرض اسم المصلي علىٰ رسول الله ﷺ .............. ١٤٠

البركة الثامنة: النجاة من الذل والهوان....................... ١٤١

**البركة التاسعة: طِيْب المجالس**.......................... ١٤٢

البركة العاشرة: نيل شفاعة رسول الله ﷺ....................... ١٤٣

البركة الحادية عشرة: القرب من رسول الله ﷺ يوم القيامة........... ١٤٤

البركة الثانية عشرة: الهداية إلىٰ طريق الجنة ..................... ١٤٤

البركة الثالثة عشرة: الإقالة من العثرة علىٰ الصراط .................. ١٤٤

البركة الرابعة عشرة: النجاة من الحسرة يوم القيامة .................. ١٤٥

مواطن الصلاة والسلام علىٰ رسول الله ﷺ........................ ١٤٦

أخطاء في أداء الصلاة والسلام علىٰ سيد الأنام ﷺ.................. ١٤٧

المجلس السابع: الأساليب النبوية في معالجة الأخطاء الزوجية ........... ١٤٨

الأسلوب الأول: أسلوب التغاضي والابتسامة!........................ ١٥١

الأسلوب الثاني: أسلوب الحوار والإقناع:.......................... ١٥٣

الأسلوب الثالث: أسلوب الوعظ والتذكير .......................... ١٥٥







الأسلوب الرابع: أسلوب العتاب والغضب:........................ ١٥٦
الأسلوب الخامس: أسلوب القضاء العادل:........................ ١٥٧
الأسلوب السادس: أسلوب التأديب بالأصابع:........................ ١٥٧
الأسلوب السابع: أسلوب الهجر........................ ١٥٩
مِنْ عِبَرِ هذا العَرْضِ........................ ١٦٠

المجلس الثامن: أحزان رسول الله ﷺ علىٰ فراق أهله وأحبته ........... ١٦٣

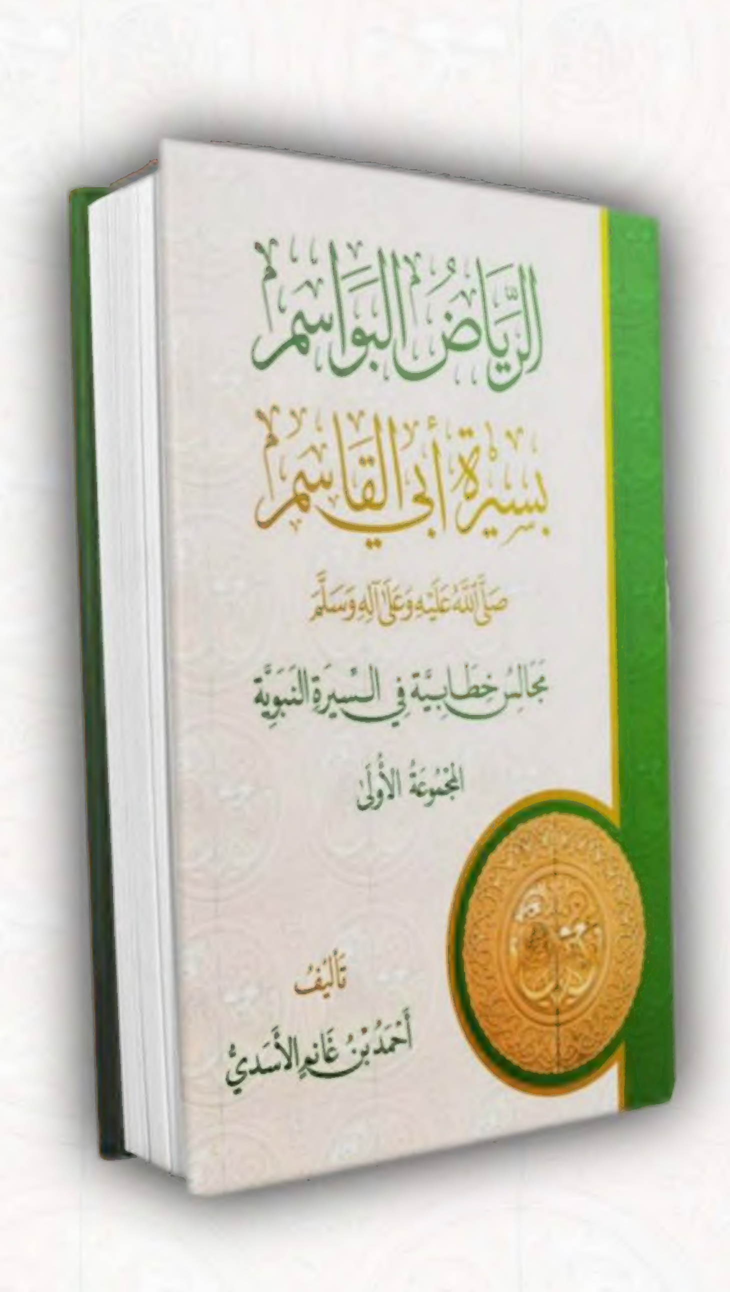
وفاة والده ﷺ عبد الله بن عبد المطلب........................ ١٦٤
حزنه ﷺ علىٰ والدته: آمنة بنت وهب........................ ١٦٥
حزنه ﷺ علىٰ جده: عبد المطلب بن هاشم........................ ١٦٦
حزنه ﷺ علىٰ ولديه القاسم، وعبد الله عليهما السلام ........................ ١٦٧
عام الحزن؛ بفقده ﷺ خديجة رضي الله عنها وعمه أبي طالب........................ ١٦٩
حزنه ﷺ علىٰ عثمان بن مظعون رضي الله عنه........................ ١٧٢
حزنه ﷺ علىٰ ابنته رقية ........................ ١٧٣
حزنه ﷺ علىٰ عمه حمزة بن عبد المطلب........................ ١٧٤
حزنه ﷺ علىٰ السبعين من أصحابه القراء ........................ ١٧٥
حزنه ﷺ علىٰ حبه زيد بن حارثة، وابن عمه جعفر بن أبي طالب، وشاعره المنافح عنه عبد الله بن رواحة رضي الله عنهم........................ ١٧٧
حزنه ﷺ علىٰ ابنته زينب رضي الله عنها........................ ١٧٨






حزنه ﷺ علىٰ ابنته أم كلثوم.................................. ١٨٠
حزنه ﷺ علىٰ ابنه إبراهيم عليه السلام.................................. ١٨٠
مِنْ عِبَرِ هذا العَرْضِ.................................. ١٨٢




الرياض البواسم
بسيرة أبي القاسم
صلى الله عليه وعلى آله وسلم
مجالس خطابية في السيرة النبوية
المجموعة الأولى
تأليف
أحمد بن غانم الأسدي